الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قســـــــم التاريـــــــخ
الرقم التسلسلي:

الحياة الثقافية في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني 1518-1830م

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في شعبة التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبين:

- نصرالدين رداوي
- عبد الرحيم رداوي

إشراف الأستاذ:

•ا. د. عبد الله مقلاتي

مقدم أمام لجنة المناقشة		
اسم ولقب الأستاذ(ة)	المؤسسة الجامعية	الصفة
د. معوشي أمال	جامعة محمد بوضياف–المسيلة–	رئيسا
ا.د. عبد الله مقلاتي	جامعة محمد بوضياف–المسيلة–	مشرفا ومقررا
د. بن رحال يمينة	جامعة محمد بوضياف–المسيلة–	ممتحنا

السنة الجامعية2020/2019

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قســـــــم التاريـــــــخ

الرقم التسلسلي:

الحياة الثقافية في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني 1518-1830م

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في شعبة التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبين:

- نصرالدين رداوي
- عبد الرحيم رداوي

إشراف الأستاذ:

- ا. د. عبد الله مقلاتي

مقدم أمام لجنة المناقشة		
اسم ولقب الأستاذ(ة)	المؤسسة الجامعية	الصفة
د. معوشي أمال	جامعة محمد بوضياف–المسيلة–	رئيسا
ا.د. عبد الله مقلاتي	جامعة محمد بوضياف–المسيلة–	مشرفا ومقررا
د. بن رحال يمينة	جامعة محمد بوضياف–المسيلة–	ممتحنا

السنة الجامعية2020/2019

إهــداء

إلى قرة العين ومنبع الحنان وأطيب قلب، وأغلى كيان

إلى من علمتني وعانت الصعاب لأصل إلى ما أنا عليه وعندما تكسوني الهموم

أسبح في بحر حنانها ليخفف من آلامي

إلى أمي الغالية حفظها الله

إلى من علمني النجاح والصبر، وأنار لي طريق العلم وشجعني على الدراسة ووهب لي الأمان

إلى أبي الغالي رحمه الله

إلى من أحبهم قلبي إخوتي وأخواتي الأعزاء

إلى جدي وجدتي أطال الله في عمرهما، إلى أهلي وعشيرتي

إلى أصدقائي، إلى زملائي وزميلاتي، إلى أساتذتي الكرام

إلى كل من علمني حرفا ووهبني معلومة

أهدي هذا البحث المتواضع راجياً من المولى

عز وجل أن يجد القبول والنجاح

نصرالدين رداوي /عبد الرحيم رداوي

شكر وتقدير

الحمد لله الذي ينتهي إليه حمد الحامدين ولديه يزداد شكر الشاكرين، الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام. وأشكر الله تعالى أن هدانا للخوض في هذا البحث وأعاننا على إنجازه بتوفيقه، ثم نتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من مدَّ يد العون والمساعدة لإكمال هذا البحث، ونخص بالشكر أستاذنا الدكتور **مقلاتي عبد الله** المشرف على الرسالة، الذي أكرمنا بتواضعه وحسن تعامله وخلقه وتوجيهاته التي كان لها بالغ الأثر في تذليل المصاعب وتخطي العقبات.

ونتقدم بالشكر والعرفان لكل من قدم لنا يد العون من قريب أو بعيد.

نصرالدين رداوي /عبد الرحيم رداوي.

قائمة الرموز والاختصارات

د.م.ج	ديوان المطبوعات الجامعية
ش.و.ك	الشركة الوطنية للكتاب
ش.و.ن.ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
م. و. ك	المؤسسة الوطنية للكتاب
مر	مراجعة
تق	تقديم
تص	تصحيح
تر	ترجمة
تح	تحقيق
تع	تعريب
تعل	تعليق
ص	الصفحة
ص. ص	صفحات متفرقة
ج	الجزء
مج	المجلد
ع	عدد
د.ت	دون تاريخ
ط	طبعة
ط. خ	طبعة خاصة
هـ	هجري
م	ميلادي

مقدمة

مقدمة:

تعتبر مدينة قسنطينة من المدن الجزائرية الأكثر عراقة بحضارتها، وتاريخها وثقافتها وعلمائها، هذه المدينة التي كانت عاصمة سياسية وثقافية وإدارية عبر مختلف العصور، خاصة في العهد العثماني حيث اختارها العثمانيون منذ بداية حكمهم أن تكون عاصمة لبايلك الشرق الجزائري إلى غاية سقوطها في يد الاحتلال الفرنسي1837، نظرا للخصائص التي ميزتها عن باقي المدن، وتعاقب على حكمها عدد من البايات كان لبعضهم دور كبير في تعميرها، وتحصينها وإصلاح أوضاعها الاجتماعية والثقافية، من بينهم صالح باي (1771-1792م)، فكانت محط أنظار الدارسين وإعجاب الرحالة والجغرافيين لمدة طويلة، فقد كانت مبعث وموطن الحركات العلمية ولازالت كذلك إلى يومنا هذا.

تعد قسنطينة مدينة العلم والعلماء، وطريق عبور مختلف الرحلات والهجرات من طرف مختلف الأجناس بغية تحصيل العلم والمعرفة واكتساب ثقافتها، فقد احتضنت أشهر العلماء الذين لعبوا دورا هاما في إحلال السلام والصلح بين الرعية والحكام، وإيصال الرسالة العلمية والثقافية لأهل البلد والغوص في مختلف العلوم خاصة الدينية منها.

تعرف الأمم عامة والشعوب خاصة من خلال حضارتهم، وإن انعدمت هذه الأخيرة تظهر من خلال ثقافتها التي تعتبر مرآة عاكسة لواقع المجتمع، وهي تختلف من مكان إلى آخر ومن منطقة إلى أخرى، ولكن يستحيل لأي مجتمع أن يخلوا من ثقافته التي قد تكون متوارثة أو وافدة عن طريق التواصل الحضاري، فهي تمثل أصالته وعراقته التي قد تدرج كرمز لشخصيته وهويته، ومن هنا جاء موضوع دراستنا الموسوم بـ" الحياة الثقافية في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني(1518-1830).

- **أسباب اختيار الموضوع:**

لقد كان اختيارنا لموضوع الحياة الثقافية في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني مبنيا على عدة أسباب أهمها:

- الأهمية البالغة للموضوع، والثراء الثقافي الذي تتميز به مدينة قسنطينة من العصور القديمة إلى يومنا هذا.
- تسليط الضوء على بعض مؤسساتها الثقافية وعلمائها الذين كانت لهم إسهامات جليلة في الميدان الثقافي وتأثيرها على الجانب الاجتماعي والسياسي.
- ميولنا الشخصي لهذا الموضوع الذي له علاقة بالمدينة التي درسنا فيها المرحلة الجامعية " المدرسة العليا للأساتذة"، وهذا ما سهل لنا الاتصال بمختلف المعاهد والمكتبات بها.

- **إشكالية الدراسة:**

تتمحور الإشكالية التي طرحناها ضمن هذه الدراسة حول واقع الحياة الثقافية في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، وهل أسس الأتراك فيها لمنظومة ثقافيةّ؟.

وتندرج ضمن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية:

- كيف أثر موقع مدينة قسنطينة على مكانتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية؟.
- ماهي أهم المؤسسات الثقافية في مدينة قسنطينة ودورها في نشر العلوم؟.
- ما مدى مساهمة الحكام العثمانيين في القيام والإشراف على العملية التعليمية، وماهي مجهوداتهم من أجل الارتقاء بالحياة الثقافية؟.
- ما هو دور الوقف في دعم المؤسسات الثقافية؟.
- كيف ساهم العلماء والمتصوفة في دعم الحياة الثقافية ؟.

- **منهج الدراسة:**

انطلاقا من طبيعة الموضوع في هذه المذكرة اتبعنا المنهج الخاص بالدراسات التاريخية وهو المنهج التاريخي بما فيه الوصفي لاستعراض الأحداث التاريخية ووصفها بشكل دقيق من الناحية الجغرافية والثقافية.

- **خطة الدراسة:**

لدراسة موضوعنا والإجابة عن الإشكالية بأسئلتها الفرعية، اعتمدنا على خطة بحث تشمل مقدمة وثلاث فصول، على أمل أن نحيط بجوانب البحث بالشرح والتفصيل حيث تطرقنا في الفصل الأول إلى دراسة قسنطينة المدينة خلال العهد العثماني من حيث إطارها الجغرافي والتاريخي وأصل تسميتها، كما تناولنا فيه مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

أما الفصل الثاني والمعنون بالمؤسسات الثقافية في قسنطينة، الذي تحدثنا فيه عن أهم هذه المؤسسات من مساجد وكتاتيب وزوايا ومدارس ومكتبات ودورها في نشر التعليم.

أما الفصل الثالث فتعرضنا فيه إلى النشاط التعليمي والثقافي ذكرنا فيه، دور الحكام في دعم النشاط الثقافي كما خصصنا فيه الحديث عن دور الوقف في دعم الحياة الثقافية، بالإضافة إلى العلماء والمتصوفة وتأثيرهم في الحياة الثقافية.

وفي ختام بحثنا استخلصنا مجموعة من الاستنتاجات التي أجبنا فيها عن الإشكالية والتساؤلات المطروحة في المقدمة.

- **دراسة لأهم المصادر والمراجع:**

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مصادر متنوعة، أفادتنا كثيرا للإحاطة بمختلف جوانب الموضوع، منها: "فريدة منيسة" لابن العنتري، "النزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" للورتلاني، "تاريخ بلد قسنطينة" لابن العطار، "قسنطينة أيام أحمد باي" لفندلين شلوصر، و" أم الحواضر في الماضي والحاضر" لشغيب محد المهدي الذي تناول فيه

التاريخ السياسي والثقافي لقسنطينة، "منشور الهداية في حال من ادّعى العلم والولاية"، لعبد الكريم الفكون الذي وظفناه في الترجمة لبعض العلماء.

كما اعتمدنا على العديد من المراجع منها: "تاريخ الجزائر الثقافي" لأبي القاسم سعدالله الذي تناول كل ما له علاقة بالحياة الفكرية و الأدبية والثقافية في العهد العثماني، وكتاب آخر له بعنوان "شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون"، بالإضافة إلى "مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران" لمحمد الهادي لعروق، "مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني" لدحدوح عبد القادر، "قسنطينة مدينة وموروثات" لفاطمة الزهراء قشي، كما أثرينا بحثنا بالاعتماد على بعض الرسائل الجامعية نذكر منها: "الحياة الأدبية في قسنطينة" لسعودي يمينة، "المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني" لبن بلة خيرة، بالإضافة إلى مجموعة من المقالات والموسوعات والمعاجم.

- **صعوبات البحث:**

قد صادفتنا عدة صعوبات والتي قد تواجه أي باحث في بحثه منها:

- ضيق الوقت المخصص لإعداد المذكرة.
- الظروف الصحية التي تعيشها الجزائر والمتمثلة في جائحة فيروس كورونا 19 المستجد والتي كانت سببا في غلق المكتبات والمعاهد التي تعتبر مصدر المادة العلمية.

وفي الختام يمكن القول أن ما جاء في هذه المذكرة يعتبر عمل متواضعا حاولنا من خلاله تسليط الضوء على الجانب الثقافي في مدينة قسنطينة مدينة العلم والعلماء في العهد العثماني خصوصا في فترة صالح باي الذي جاء بإصلاحات في شتى المجالات.

الفصل الأول:

قسنطينة خلال العهد العثماني

1- جغرافية مدينة قسنطينة

1-1 الموقع الجغرافي و الفلكي

2-1 الموقع الطوبوغرافي

3-1 أصل التسمية

2- التطور التاريخي لمدينة قسنطينة

2-1 قسنطينة قبل الإسلام

2-2 قسنطينة في العهد الإسلامي

2-3 قسنطينة في العهد العثماني

3- الحياة السياسية

4- الحياة الاقتصادية

5- الحياة الاجتماعية

مدينة قسنطينة من المدن الواقعة في الشرق الجزائري، تعتبر من أقدم المدن وأجملها، حيث تتمتع بموقع استراتيجي، تعددت الروايات في أصل تسميتها وتعتبر من أهم المدن الجزائرية بتاريخها وتراثها وحضارتها، إذ مرت بالعديد من المحطات التاريخية الهامة وعاصرت مختلف الحضارات، شهدت خلالها توافد العديد من الشعوب التي كونت مجتمع المدينة الذي اختلف المؤرخون في تصنيفه، فمنهم من ذهب إلى تقسيمهم حسب الأعراق والأصول، وذهب البعض إلى تقسيمهم حسب مكانتهم السياسية والاقتصادية، هذا الاختلاف ساهم في تكوينها الثقافي والحضاري وجعلها تتمتع بمكانة هامة خصوصا في عهد العثمانيين الذين اتخذوا منها عاصمة لبايلك الشرق بداية من سنة (975هـ-1567م)، لما تملكه من مؤهلات اكتسبتها من موقعها الاستراتيجي وبعدها التاريخي والحضاري، وقد توالى على حكمها عدة بايات.

تملك قسنطينة مقومات طبيعية وبشرية هامة استغلتها في النشاط الاقتصادي الذي يعتبر محور الحياة في المدينة، وترتبط به وبواسطته ترتسم معالم الحياة، لاسيما في العهد العثماني الذي شهدت فيه الزراعة والصناعة والتجارة ازدهارا كبيرا .

إن الموقع الاستراتيجي لمدينة قسنطينة جعلها تتمتع بمزايا عديدة جلب إليها اهتمام الجغرافيين والرحالة الذين قدموا وصفا دقيقا لها من مختلف الجوانب، وقد تعددت رواياتهم في أصل اسم المدينة.

1-جغرافية مدينة قسنطينة:

يعتبر الموقع من أهم العوامل المؤثرة في دراسة المدن وغيرها من التجمعات السكانية، من حيث الصفات المناخية أو النباتية أو صفات السطح، فالإنسان يختار الأنسب منها لأغراضه السكنية، وهي عوامل الجذب[1].

1-1 الموقع الفلكي و الجغرافي:

إن التحديد الحديث لمدينة قسنطينة حسب خط غرينيتش هو خط طول سبعة درجة وخمسة وثلاثون دقيقة شرق خط غرينيتش، ودائرة عرض ستة وثلاثون درجة وعشرون دقيقة شمال خط الاستواء، فهي تقع في المنطقة المعتدلة مناخيا، مناخ البحر الأبيض المتوسط شبه الرطب المتأثر بالتضاريس، إذ ترتفع على مستوى سطح البحر بعلو يتراوح ما بين 621م إلى 740م [2].

تتوسط المدينة إقليم الشرق الجزائري، وهي واقعة خلف الأطلس التلي جنوب غرب عنابة، لقد كان لسلطتها امتداد واسع خلال العهد العثماني، فهي تمتد من البحر شمالا إلى ما وراء بسكرة ووادي سوف في حوض ريغ جنوبا، ومن الحدود التونسية شرقا إلى ما وراء ونوغة وبرج حمزة وسفوح جرجرة غربا[3].(المخطط رقم:1)

1- لعروق محمد الهادي: مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران، د.م.ج ،بن عكنون، الجزائر،1984، ص13.

2- نفسه، ص ص14،15.

3- بن العنتري محمد الصالح: فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مر. يحي بوعزيز، ط.خ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص17.

2-1 الموقع الطوبوغرافي:

تحتل المدينة موقعا متميزا، وهي عبارة عن شكل متدرج يرتفع من الشمال الغربي عند سفوح جبل المنصورة الذي يفصله عنها انهدام متعرج تشكله مياه وادي الرمال، هذا الآخر يلتقي بواد بومرزوق الآتي من الجهة الشرقية في المكان المعروف بدار الأقواس (الحنايا المائية القديمة)[1].وفي الشمال الشرقي للمدينة ينتصب جبل المنصورة في اتجاه جنوبي شرقي إلى شمالي غربي، ومع أن هذه الجبال جرداء من الأشجار إلا أنه يمكن استغلالها في الزراعة، وفي أعلى هذه الهضبة (المنصورة)، نجد بها نتوءان إحداهما شرقي يشرف على المدينة يسمى (سيدي مبروك)، أما الثاني الواقع في الشمال الغربي لهضبة المنصورة يحمل اسم (ضريح سيدي مسيد)[2].

وتتربع المدينة على كتلة صخرية بالعدوة الغربية لوادي الرمال، وقد ذكرها العبدري في قوله:"...وقد دار بها واد شديد الوعران بعيد القعر، أحاط بها كما يحيط الصوار بالمعصم ومنعها كما يمنع النوق الأعصم ..."[3].

ويحيط بها أخدود الوادي الذي زاد في أهميتها كقلعة حصينة شامخة، تحيط بها العوائق والمنحدرات من كل الاتجاهات، وقد اختيرت كمدينة متميزة بسبب موقعها وحصانتها، وسهولة الدفاع عنها ولوفرة المياه الصالحة بها، وأراضيها الخصبة وهذه العناصر تعتبر المصادر الأساسية في اختيار مواقع المدن وإنشائها[4].

1- سعيدوني ناصر الدين: وصف مدينة قسنطينة حسب معلومات جديدة للقبطان هيبوليت 1832، مجلة أصالة، وزارة الشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، ع. جوان، جويلية 1979م/1399هـ، ص8.

2-حروش مفيدة: أطلس المعالم الإسلامية بمدينة قسنطينة، دراسة تاريخية أثرية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة 2010،2011، ص21.

3- العبدري محمد البلنسي: الرحلة المغربية أو الرحلة العبدرية، تق سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007، ص ص58،59.

4- لعروق محمد الهادي، المرجع السابق، ص14.

وقد وصفها المؤرخ الروماني سترابون (Strabon) بأنها قلعة ممتنعة على من رامها، وذكر المؤرخ إبيان بأن مصيبسا حصنها تحصينا لا يمكن معه لأحد أن يفتحها عنوة[1].وقد تحدث البكري (487هـ/1095م) عن حصانة المدينة وموقعها المنيع قائلا :" مدينة أولية كبيرة آهلة، ذات حصانة ومنعة ليس يعرف احصن منها..."[2] ، أما الشريف الإدريسي (560هـ/1164م) فقد وصفها بقوله:" ومدينة قسنطينة على قطعة جبل منقطع مربع فيه بعض الاستدارة، لا يتوصل إليهم من مكان إلا من جهة باب في غربيها ليس بكثير السعة ...يحيط بها الوادي من جميع جهاتها كالعقد المستدير بها ...ووواديها يأتي من جهة الجنوب فيحيط بها من غربيها ويمر شرقا مع دائر المدينة..."[3].

أما ياقوت الحموي(626هـ/1228م) كتب عنها قائلا :"...مدينة وقلعة يقال عنها قسنطينة الهوى، وهي قلعة كبيرة جدا حصينة عالية لا يصلها الطير إلا بجهد..."[4]، وقد وصفها الرحالة الورتلاني(1193هـ/1779م) قائلا:"... وعليها صور كبير...وعسكر من الترك بقدر حالها وباي سطوته عظيمة وحاله كبير وعساكرها كثيرة ومددها قوي"[5].

1-3 أصل التسمية:

لقد عرفت مدينة قسنطينة تسميتين مختلفتين، الأولى تتمثل في "**سيرتا**" (Cirta) أو قرطة أو كرتن أو كرطن، وقد ورد هذا الاسم في النقوش والكتابات التاريخية وهو اسم

1- الميلي مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، تق. تص. محمد الميلي، ش. و. ك، الجزائر، ص ص 234،235.

2- البكري أبو عبيد: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، نشر دوسلان، الجزائر، 1875، ص63.

3- الإدريسي أبو عبد الله محمد الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1989، ج1، ص ص 265،266.

4- الحموي ياقوت: معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت لبنان، 1995، ج4، ص349.

5- الورتلاني الحسن بن محمد السعيد الشريف: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تح. تق. محمد بن أبي شنب، طبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908، ص ص 685،686.

عرفت به المدينة منذ العهود الأولى، فأصل الكلمة فينيقي ومعناه القلعة أو المدينة الحصينة[1] .

إلا أن هناك رواية أخرى حول أصل سيرتا مفادها أن أول ملك نوميدي وهو يوبا بن هرقل وأمه تشبياس سرت هو الذي أصبحت تعرف به المدينة[2].

أما التسمية الثانية وهي التي لا تزال تعرف بها إلى يومنا هذا "قسنطينة"، فقد تعددت التفسيرات حول أصل هذه التسمية، وفي طريقة كتابتها ونطقها، فعلى حسب ياقوت الحموي تكتب "قسنطينة" بضم أوله وفتح ثانيه ثم نون وكسر الطاء وياء مثناة من تحت ونون أخرى بعدها ياء خفيفة وهاء[3]، ومنهم من زاد "ال التعريف" إليها فأصبحت تكتب "القسنطينة" [4]، ثم أضيفت لها الطاء بعد السين وقبل النون الأولى فصارت "القسطنطينة"، وقد ذكرها بهذا الاسم ابن حوقل قائلا:" وأما القسطنطينة التي لكتامة فمدينة قريبة الأمر تداني ميلة ونقاوس في حالها ومدينة نقاوس مدينة كبيرة..."[5]، وقد بقي اسم قسنطينة متداولا بين الكتاب وإن كان الكثير يطلق عليها اسم قسنطينة إلى غاية العهد العثماني، حيث يشير شلوصر أن الأتراك كانوا لايزالون ينادونها بهذا الاسم، أما العامة من أهلها فكانوا ينطقونها "قسمطينة"[6].

1- غانم محمد الصغير: المملكة النوميدية والحضارة البونية، ط1، دار الأمة، الجزائر، 1988، ص152.

2- دحدوح عبد القادر، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر2، 2009،2010، ص15.

3- الحموي ياقوت، المصدر السابق، ص349.

4- الإدريسي، المصدر السابق، ص ص265،266.

5- ابن حوقل أبي القاسم النصيبي: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1992، ص91.

6- شلوصر فندلين: قسنطينة أيام احمد باي(1832،1837) ، تر. تق، أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، 2007، ص73.

حظي العهد العثماني بالجزائر بجملة من الدراسات والأبحاث والتي عالجته من جميع جوانبه من خلال البحث في كامل مدنها خاصة في مدينة قسنطينة والتي تعتبر من أهم المدن التي حظيت باهتمام المؤرخين الراغبين في البحث في كامل جوانبه خاصة في مراحله التاريخية محاولين تسليط الضوء على التواجد العثماني بها ومدى تأثيره عليها.

2- التطور التاريخي لمدينة قسنطينة:

2-1 قسنطينة قبل الإسلام:

يرجع أقدم استقرار بشري بمنطقة قسنطينة إلى عصور ما قبل التاريخ، فقد أهلها الإنسان منذ بداية الزمن الجيولوجي الرابع(عصر البلايستوسين الحديث)، لما توفر له من ظروف العيش اللائق خاصة وفرة المياه، وخصوبة التربة وكثرة الكهوف الصخرية التي كانت الملجأ المناسب له، وقد عثر الأثريون في محيط المدينة على مواقع بها عدة مخلفات عظمية وأدوات حجرية ونقوش صخرية ومقابر[1].

وقد برزت سيرتا كمدينة قديمة قوية في المغرب القديم ابتداء من العهد النوميدي حيث تميزت بالرخاء والثراء، وكانت مركزا للتجارة في مختلف المناسبات، هذا ما جعلها عرضة لأطماع المحتلين والغزاة[2].

2-2 قسنطينة في العهد الإسلامي:

وصلت موجات الفتح الإسلامي إلى منطقة المغرب العربي، فهاجم الفاتحون العرب مدينة قرطاج والمدن البيزنطية التابعة لها، والتي أصبحت خاضعة لحكمهم، ومن بينها مدينة قسنطينة خلال القرن السابع للميلاد، وكان الفضل في ذلك لأبي المهاجر

1- غانم محمد الصغير: قسنطينة عبر تاريخها القديم، مجلة العلوم الإنسانية، ع 12، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 1999، ص140.

2- فيلالي عبد العزيز: قسنطينة في العصر الوسيط دراسة سياسية عمرانية ثقافية، مطبعة دار البعث، 2002، ص11.

الدينار[1]، الذي ساهم بحنكته، وحكمته في جعلها منارة علم حيث لم يتوان في إرسال بعثات الفقهاء والمعلمين لها، الذين ساهموا بشكل فعال في تثقيف سكانها وتعليمهم مبادئ دينهم ولغتهم العربية[2].

وبقيت قسنطينة عاصمة لإقليم قائم بذاته، وتابع إداريا وسياسيا للقيروان في عهد الولاة الذي دام نحو قرن من الزمن، أي من عهد موسى بن نصير إلى قيام الدولة الأغلبية(148هـ/800م)[3]، وقد كانت في هذه الفترة تتميز باقتصاد كبير إلى جانب نهضة علمية وثقافية ومعمارية[4]، حيث اهتم أمراء بني الأغلب بالنشاط الثقافي، وشجعوه وقربوا العلماء والأدباء والشعراء وأجزلوا لهم العطاء[5]، ودام حكم الأغالبة إلى(296هـ/912م)، ثم قامت بعد ذلك الدولة الفاطمية (296هـ،908م/362هـ،974م)، ثم دخلت تحت حكم بني زيري (362هـ،974م/542هـ،1154م)، وهاجمها الهلاليون حوالي 462هـ، وتحكموا فيها ثم خرجت عنهم ودخلت تحت حكم الحماديين إلى آخر عهدهم، وعرفت نهضة علمية وفنية وأدبية[6]، أما في العهد الموحدي فإن المدينة خضعت لهم بعد سنة (548هـ/1160م)، وبالرغم من المحاولات المتعددة للمرابطين قصد السيطرة عليها إلا أنهم فشلوا بسبب حصانتها، وبقيت موالية للموحدين سبعين سنة إلى غاية سقوط دولتهم وانقسامها إلى ثلاث دويلات هي: الحفصية بالمغرب الأدنى، الزيانية بالمغرب الأوسط

1- أبي المهاجر الدينار: هو مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري، تولى إفريقية بعد عزل عقبة بن نافع في سنة(55هـ/674م)واستمر في ولايته إلى غاية سنة(62هـ/681م) .انظر: خطاب محمد شيث، قادة فتح المغرب العربي، ط7، دار الفكر للطباعة والنشر، 1984، ج1، ص ص 137،149.

2- سعودي يمينة: الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2005،2006، ص22.

3- فيلالي عبد العزيز، محمد الهادي لعروق: مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1984، ص45.

4- سعودي يمينة، المرجع السابق، ص23.

5- فيلالي عبد العزيز، محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص 46.

6- فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ص ص48،49.

والمرينية بالمغرب الأقصى، ولأن المدينة كانت قريبة جغرافيا من الدولة الحفصية فقد تمكن الحفصيون بقيادة أبو زكرياء من الاستيلاء عليها، وعلى جميع الشرق الجزائري ودخوله للمدينة سنة(628هـ1230م)[1] .

وقد عمل بنو حفص على تقسيم ممتلكاتهم إلى أقاليم، فكانت قسنطينة من بين هذه الأقاليم واعتبرت القاعدة الثانية للحفصيين بعد تونس وعدت العمق الاستراتيجي والاقتصادي للسلطة المركزية، وإحدى قلاعها العسكرية المنيعة، وقد اتسع عمران المدينة في هذه الفترة وكثرت مساكنها ومساجدها وكتاتيبها[2] ، ومدارسها وجوامعها وزواياها التي التف حولها أبناء قسنطينة كغيرهم من أبناء حواضر الغرب حول جامع الزيتونة ومعهد القيروان لمتابعة دروسهم والاستفادة من شيوخها وعلماءها[3]، وبذلك أصبحت قسنطينة تضاهي مدينتي تونس وتلمسان[4].

2-3 قسنطينة في العهد العثماني:

اختلف المؤرخون حول تحديد تاريخ دخول الأتراك مدينة قسنطينة، وطريقة استقرارهم بها، ولازالت هذه النقطة غامضة حيث يرى فاييست (Vayssettes) أن دخول الأتراك إلى قسنطينة كان سنة(923هـ/1517م)، أما مارسيي (Mercier) فقد حددها سنة(626هـ/1520م)[5]، كما يرى هايدو أنه على اثر فتح خير الدين مدينة القل هو الأمر الذي أدي بالدخول التلقائي لمدينة قسنطينة تحت وطأة الحكم العثماني[6] في حين يرى مؤرخ قسنطينة الشيخ أحمد المبارك بن العطار في كتابه "تاريخ بلد قسنطينة"

1- الجيلالي محمد عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام، د . م . ج، بن عكنون، الجزائر، 1965، ج2، ص12.

2- فيلالي عبد العزيز، محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص ص 68،69.

3- عمورة عمار: الموجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2002، ص 63.

4- فيلالي عبد العزيز، محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص77.

5- حروش مفيدة، المرجع السابق، ص21.

6- FD de Haedo: historie des roes l'Algérie traduite et annotée par H-D de Grammont, Alger, 1881, p37.

أن دخولهم كان عام (925هـ/1520م)، بعدما هاجمها حسن قائد خير الدين باشا، واحتلها ثم خرجت عن سيطرته للحفصيين مرة أخرى، ثم استردها العثمانيون سنة 1534 ليثبتوا حكمهم فيها[1]، وهناك من يرى أن دخولهم كان بعد انتهاء الحكم الحفصي بتونس في حدود(933هـ/1536م) ومنهم مؤرخ الدولة الحفصية الشهير ابن دينار في كتابه المؤنس في أخبار إفريقية وتونس[2]. ويذهب إلى أبعد من ذلك المؤرخ محمد الصالح العنتري في تأريخه حول دخول الأتراك بلد قسنطينة بقوله:"... وأما الترك أسسوا برجا خارج البلاد يسكنون فيه، وكل الترك الذين يأتوا(كذا) من الجزائر ينتمون إليهم، وكان دخول الترك في قسنطينة عام ألف وخمسين[3] بعد أن مضت من ولاية يوسف باشا عامين(كذا) ونصف "[4].

من خلال مختلف الآراء السابقة يتبين أن دخول العثمانيين إلى مدينة قسنطينة لم يرتبط بتاريخ محدد، بل كان متدرجا على مراحل وبعد عدة محاولات، غير أن دخولهم الفعلي تم ما بين (940هـ-1534م/960هـ-1554م)، فالوجود العثماني قبل هذه الفترة كان رمزيا وغير مستقر.

وعقب دخول العثمانيين إلى المدينة ظهر تياران متناقضان، الأول رفض الوجود العثماني بالمدينة، وكان على رأسه أسرة عبد المؤمن من شيوخ الإسلام في العهد الحفصي ساندها في ذلك عرب أولاد بن صاولة، أما التيار الثاني فقد ساند دخولهم إلى المدينة وتزعمتهم أسرة الفكون، وقد كان اتصال العثمانيين بهذه العائلة للوقوف معهم مبكرا ويرجع إلى سنة(928هـ-1522م)[5].

1- حروش مفيدة، المرجع السابق، ص21.

2- بن العطار أحمد بن مبارك: تاريخ بلد قسنطينة، تح. تعل. تق عبد الله حمادي، الطبعة الجديدة، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011، ص48.

3- هجرية الموافق لعام 1640م.

4- ابن العنتري محمد الصالح، فريدة منيسة، ص48.

5- حروش مفيدة ، المرجع السابق، ص ص22،23.

ولكن نجد أن أبا القاسم سعد الله ينفي هذا مدعما ذلك من خلال أن ابن الفكون في كتاباته لم يشر إلى ذلك، ويفسر انتقال إمارة ركب الحج من عائلة عبد المؤمن إلى عائلة الفكون على أنه ليس صراعا، بل ذلك يرجع إلى ضعف الأولى خلال العهد العثماني بينما ارتفعت حظوظ العائلة الثانية[1].

وبعد استقرار العثمانيين بالجزائر قرر حسن باشا بن خير الدين تقسيم الجزائر إلى ثلاث أقاليم، كل منها يحمل اسم بايلك وهي على النحو التالي: بايلك الغرب وعاصمته مازونة ثم معسكر ثم وهران من بعد تحريريها من الإسبان سنة 1792م، وبايلك التيطري وعاصمته المدية، وبايلك الشرق أو بايلك قسنطينة عاصمته قسنطينة بداية من سنة (975هـ-1567م)، هذا إلى جانب بايلك الجزائر العاصمة في الوسط الذي يحمل اسم دار السلطان، ويحكم كل بايلك نائب عن الباشا في الجزائر يحمل لقب الباي وبمساعدة مجلس ديوان صغير[2].

بعد استقرار العثمانيين بالجزائر وتقسيمها إلى بايليكات منها بايلك الشرق الذي اختيرت مدينة قسنطينة عاصمة له بداية من سنة (975هـ-1567م)، لما تملكه من مؤهلات اكتسبتها من موقعها الاستراتيجي وبعدها التاريخي والحضاري، وقد توالى على حكمها عدة بايات، أولهم "رمضان تشولاق باي" الذي حكم بين سنتي(975هـ-1567م/982هـ1574م).

3- الحياة السياسية:

لقد ذكرنا سابقا أن أول من تولى إدارة قسنطينة هو "رمضان تشولاق" باي الذي قضى على ثورات القبائل ضد الحكم العثماني، كما شارك في الحملة على ملك المغرب سنة 1576م، أما في عهد "حسين" باي (1017هـ-1608م/1032هـ-1622م) فقد

1- سعد الله أبو القاسم: شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص23.

2- ابن العنتري، فريدة منيسة، ص30.

أبرمت اتفاقية لضبط الحدود مع تونس سنة (1023هـ-1614م)وقاموا برعاية مصالح الفرنسيين بالقالة بأمر من الباشا، أما مراد باي (1032هـ-1622م/1057هـ-1647م) فقد اهتم بحفظ الأمن في البايلك، كما ساعد على أمن الرعايا الفرنسيين في مراكز صيد المرجان[1].

وقد توالى على حكم قسنطينة عدة بايات من بينهم:

- فرحات بن مراد (1057هـ-1647م/1063هـ-1653م) فقد قام بترميم الجامع الكبير بقسنطينة.

- رجم باي (1077هـ-1666م/1084هـ-1674م)وقد كان حسن السيرة وإليه يعود فضل بناء جامع رحبة الصوف.

- حسين باي المكنى بوكمية، والذي حكم مدة طويلة بلغت ثلاث وعشرين سنة (1125هـ-1713م/1149هـ-1736م)في عهده عاشت قسنطينة السلام والاستقرار، وهو باني جامع سوق الغزل.

- حسن باي المدعو بوحنك(1149هـ-1736م/1187هـ-1774م) والذي أرسى الأمن، واهتم بالعمران فنسق شوارعها، وأصلح طرقها، وشيد بها الجامع الأخضر[2].

- أحمد القلي جد آخر بايات قسنطينة" أحمد باي " تولى الحكم بين (1170هـ-1756م/1185هـ-1771م) لقب بالقلي نسبة إلى شغله آغا مدينة القل في عهده جددت زاوية سيدي عبد المومن، وبنى ثكنة للانكشارية ودارين بمدينة قسنطينة[3].

- صالح باي (1185هـ-1771م/1207هـ1792م) والذي شهدت قسنطينة في عهده أزهى أيامها فقد كان أحسن البايات الذين عرفتهم المدينة طيلة الحكم العثماني، إذ

1- ابن العنتري، فريدة منيسة، ص ص30،31.

2- نفسه، ص ص 30- 56.

3- شغيب محمد المهدي بن علي: أم الحواضر في الماضي والحاضر، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، 1980، ص ص374،375.

حقق الأمن والاستقرار بالبايلك، وقضى على كل الثورات وقام بالعديد من المنجزات المعمارية، حيث شيد جامع ومدرسة سيدي الكتاني، وبنى مدرسة بجوار الجامع الأخضر، كما بنى لنفسه دارا بجوار جامع سيدي الكتاني بسوق الجمعة(سوق العصر حاليا)، ومد جسرا عند باب القنطرة[1] .

- الحاج أحمد باي ابن محمد الشريف (1241هـ-1826م) ويتميز هذا الباي بشخصية قوية وحنكة في إدارة شؤون البايلك، حيث شارك في العديد من الحملات التأديبية ضد القبائل، ففي عهده أصبحت المدينة حاضرة من حواضر الجزائر كما أصبحت منبعا لثقافة راقية كما اهتم بالجانب العمراني وأهم بناء معماري قام به هو قصر أحمد باي، كما قام بتحصين أسوار المدينة، وعند احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م ظهرت قوته حيث قاوم الفرنسيين ومنعهم من دخول المدينة إلى سنة 1837م[2].

1- قشي فاطمة الزهراء: قسنطينة في عهد صالح باي البايات، ميديا بلوس، قسنطينة، 2005، ص ص 72-74.

2- شلوصر فندلين، المصدر السابق، ص ص73،74.

تعد مدينة قسنطينة من أقدم المدن حيث شهدت توافد العديد من الشعوب التي ساهمت في تكوينها الثقافي والحضاري وجعلتها تتمتع بمكانة هامة خصوصا في العهد العثماني وقد اختلف المؤرخون في تكوين المجتمع الجزائري، فمنهم من ذهب إلى تقسيمهم حسب الأعراق والأصول إلى عرب، يهود وأتراك وذهب البعض الآخر إلى تقسيمهم حسب مكانتهم السياسية والاقتصادية إلى طبقات فمنهم الأتراك، الكراغلة، الحضر والبرانية...

4- الحياة الاجتماعية:

بلغ عدد سكان قسنطينة خلال العهد العثماني حسب ما ذهب إليه الرحالة حسن الوزان في رحلته وصف إفريقيا والتي كانت في بدايات الوجود العثماني في الجزائر بقوله: "تستطيع قسنطينة، نظرا لحجمها، أن تضم ثمانية آلاف كانون..."[1]. والكانون يعبر عن العائلة الواحدة، وهو مصطلح استعمل كوحدة قياس لإحصاء عدد السكان، ويقدر الكانون الواحد ما بين 04 و05 أفراد أي متوسط عدد أفراد العائلة الواحدة، ومنه تقدير عدد سكان المدينة ما بين 32000و40000. وفي أواسط القرن السابع عشر يذكر دافتي(Davity) أن عدد سكان المدينة كان حوالي 8000 عائلة سكانها كلهم حرفيون وصناع، أما قبل الاحتلال فكان في قسنطينة 6000 عائلة حضرية[2]، كما ذهب وليام شالر في مذكراته بأن عددهم بلغ 40000 نسمة[3]، أما شلوصر فقد ذكر عند إقامته بها أن عدد سكانها 30000 وهم مزيج من الترك، والبدو، والقبائل، واليهود[4].

1- الوزان حسن بن محمد الفاسي: وصف إفريقيا، تر، محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1983، ج2، ص56.

2- نواري خولة: نظرة حول المجتمع الحرفي والصناعي بمدينة قسنطينة في العهد العثماني، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، ع 1، مج 2، جامعة الجزائر2، جانفي 2019، ص278.

3- شالر وليام: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1824،1816، تعل .تع . تق إسماعيل العربي، ش . و .ن .ت، الجزائر، 1982، ص36.

4- شلوصر، المصدر السابق، ص79.

وينقسم سكان مدينة قسنطينة خلال هذه الفترة حسب أعراقهم وأصولهم إلى:

ا- **القبائل(الأمازيغ):** وهم السكان الأصليون للبلاد، تحصنوا بالجبال بفعل عوامل تاريخية كثيرة، وقد كانت مساكنهم بسيطة تعتمد على ما جادت به الطبيعة من حجارة وأخشاب تجلب من الجبال[1]، مارسوا العمل في الورشات الحرفية، ومنهم من مارس حرفة الزراعة بالجنان والفحوص، ضف إلى ذلك ممارستهم نشاطات حرفية وتجارية أخرى مثل بيع الزيت، والصابون، والعسل، والصناعات النسيجية، والصناعات الحديدية مثل الأواني والأدوات ذات الاستخدام اليومي، إضافة إلى احترافهم صناعة البارود والمدافع والأسلحة[2].

ب- العرب: وهم عبارة مجموعات يسكنون السهول والأراضي المنخفضة، مهنتهم الفلاحة، ومسكنهم تحت الخيام المصنوعة من الوبر والصوف وشعر الماعز، ليس لهم مستقر إلا حيث يجدون المرعى لماشيتهم لباسهم من الصناعة المحلية[3]، وهذه المجموعات يحكمها قائد يعرف بشيخ الدوار[4].

ج- اليهود: كانوا يخضعون لقائد يعرف بالمقدم يكون منهم، وقد خص لهم صالح باي منطقة الشارع وهي تقع ما بين القنطرة وحافة الهاوية، فبنوا فيها منازلهم ودكاكينهم[5]،كما أنهم يتمتعون بحرية تامة في ممارسة معتقداتهم الدينية، وهم يخضعون لقوانينهم الدينية في أحوالهم الشخصية[6]، وكانت بعض نشاطات اليهود تتمثل في الخياطة والصناعة والتجارة، وقد ذكر شلوصر أن اليهود في مدينة قسنطينة كانوا

1- سعيدوني ناصر الدين: مذكرة حول إقليم قسنطينة، مجلة الأصالة، ع 70،71، ص14.

2- شالر وليام، المصدر السابق، ص ص113-115.

3- خوجة حمدان بن عثمان: المرآة، تق. تعل. تح، محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغاية، الجزائر، 2006، سلسلة التراث، ص ص 31،32.

4- سعيدوني ناصر الدين: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، م. و. ك، الجزائر، 1984، ص327.

5- سعيدوني ناصرالدين، مذكرة حول إقليم قسنطينة، ص14.

6- شالر وليام، المصدر السابق، ص89.

محتقرين يعاملون معاملة العبد فالباي إذا احتاج المال يطلبه منهم، أما الأعمال الشاقة والمهينة فقد كانت توكل إليهم[1]، وقد ذكر شلوصر أن عددهم تسعة آلاف عشية دخول الفرنسيين[2].

د- الأتراك: هم العنصر الحاكم في البلاد، كان عددهم قليل في مدينة قسنطينة، وكانوا يؤسسون فرق الجيش، ومن بين هذه الفرق فرقة الانكشارية وقد كان الانتساب إليها طريق للسيطرة والحصول على المال[3]، عرف الانكشاريون بالتفوق في فنون الحرب وتتكون فرقهم من وحدات تابعة للباشا أو لداي مدينة الجزائر[4]، وقد كان للأتراك وظائف أخرى منها:

- الخزناجي: وزير المالية.
- الآغا: شيخ العرب.
- خوجة الخيل: وزير الأملاك الأميرية .
- بيت مالجي: جاني الضرائب.
- وكيل الخرج: وزير الخارجية.
- القاضي الحنفي: الذي ينظر في قضايا العثمانيين.[5]

كما يمكن تصنيفهم إلى طبقات اجتماعية تتمثل في:

- الفئة الأولى: تتكون من العثمانيين الأتراك الذين كانوا يتربعون عل قمة الهرم الاجتماعي فالسلطة بيدهم والحكم بقيادة الجيش.

1- شلوصر، المصدر السابق، ص87.

2- نفسه، ص 56.

3- سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص328.

4- قشي فاطمة الزهراء: قسنطينة مدينة وموروثات، مر. عياش سلمان، ميديا بلوس، قسنطينة، 2009، ص51.

5- عبد القادر نور الدين: صفحات من مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص ص 77-80.

- الفئة الثانية: "الكراغلة" وهم عنصر جديد ظهر بعد استقرار العثمانيين في المدينة وذلك من خلال زواج أفراد الانكشارية من نساء جزائريات، كما يطلق عليهم اسم الكراغلة، لكن لا يسمح لهم بالارتقاء إلى مصاف الفئة الأولى، على عكس ما كان يتمتع به من كانوا من الأمهات المسيحيات والأوروبيات.

- الفئة الثالثة: "الحضر" وهم الغالبية وتشمل العائلات القديمة التي استوطنت المدينة من القدم، ومعظم عناصر هذه الفئة من العلماء والفقهاء والتجار، وأصحاب الحرف والصنائع والكتاب الإداريين[1]، إضافة إلى الأسر الدينية التي تحظى باحترام كبير[2].

- الفئة الرابعة: "الوافدون أو البرانية" تتكون من العمال والفصليين أي غير الدائمين الذين يقصدون المدينة من أجل العمل عند أهل المدينة في المصانع والحمامات والدكاكين[3]، ونذكر منهم: الجيجليون، القبائل، البساكرة، بنو مزاب، الأغواطيون ...[4].

إضافة إلى هذه الفئات كانت هناك الكثير من الزنوج والأسرى المسيحيين "العلوج" الذين يسخرون للأعمال البدوية والأعمال الفنية أو يخضعون إلى حرس الباي والباي وجيشه[5].

حازت قسنطينة على مقومات طبيعية وبشرية هامة استغلتها في النشاط الاقتصادي الذي يعتبر محور الحياة في المدينة، إذ به وبواسطته ارتسمت معالم الحياة، لاسيما في العهد العثماني الذي شهدت فيه الحياة الاقتصادية ازدهارا خاصة في فترة صالح باي .

1- فيلالي عبد العزيز، محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص ص 85،86.

2- شويتام أرزقي: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830، درا الكتاب العربي، الجزائر، ص79.

3- فيلالي عبد العزيز، ومحمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص86.

4- غطاس عائشة: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر1830،1700 مقاربة اجتماعية، اقتصادية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2000،2001، ج1، ص ص19-25.

5- فيلالي عبد العزيز، ومحمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص86.

5- الحياة الاقتصادية:

كانت قسنطينة قبل الفترة العثمانية مدينة عامرة ومزدهرة شهدت حركة تجارية واقتصادية، حيث وصفها الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق بقوله:"... مدينة كبيرة بها أسواق وتجار، واشتهرت بزراعة الحنطة والشعير وكانت تعد من المراكز التجارية الهامة للمبادلات التجارية، وكانت تربطها علاقة مع البلدان الواقعة على حوض البحر الأبيض المتوسط، وبلاد الشرق والسودان جنوبا، والتي كانت توجد على ثلاث مراحل من قسنطينة وطريقان تتجهان نحو بجاية، وإحداهما تمر بجيجل..."[1]، ونفس الشيء ذكره البكري في رحلته حيث قال:" أنها مدينة تجارية وصناعية وفلاحية، وأنها من المراكز التجارية الهامة[2].

وبقيت مدينة قسنطينة محافظة على هذا الازدهار والحيوية الاقتصادية خلال العهد العثماني، واستطاعت بفعل هذه الحيوية أن تستقطب الأرياف المجاورة، ويمكن توضيح النشاط الاقتصادي على النحو الآتي:

أولا- الزراعة: هي النشاط الذي مارسه السكان واعتبر المورد الرئيسي في معيشتهم، فقد اشتهرت مدينة قسنطينة منذ العصور السابقة بزراعة الحبوب، ومن أهم منتوجاتها القمح والشعير، وقد وصف العبدري في رحلته الأراضي الزراعية على أنها خصبة وسبب خصوبتها هو مياه الأمطار نتيجة وقوعها إلى جانب الجبال[3].

1- الإدريسي، المصدر السابق، ص ص266،665.

2- البكري، المصدر السابق، ص 62.

3- شلوصر، المصدر السابق، ص 87.

وبقيت على هذا الحال طيلة العهد العثماني، حيث يقول أحد الفرنسيين أن ازدهار زراعة الحبوب بمدينة قسنطينة يرجع إلى موقعها الاستراتيجي وأنها تسيطر على الهضاب الممتدة والأرياف مع وجود البساتين[1].

وقد تنوعت المحاصيل الزراعية من قمح وشعير، بالإضافة إلى الأشجار المثمرة كالزيتون، وتميزت زراعة الحبوب بالبساطة نظرا لعدم اهتمام السلطة بالجانب الزراعي لذلك اعتمد السكان على الوسائل الفلاحية البسيطة كالمحراث الخشبي، وعدم استعمال نظام الدورة الزراعية، ولا نظام تقليب الأرض وتهيئتها للحرث استعدادا وتحضيرا للموسم الجاري، وكذا عدم استخدام الأسمدة[2].

وقد عرفت الزراعة في العهد العثماني تطورا ملحوظا، فلم تكن هي نفسها أثناء بداية تواجدهم فيها ولاهي نفسها أثناء الفترة الأخيرة من تواجدهم فيها، خصوصا خلال عهد صالح باي(1771-1792م) والذي أدخل عليها تعديلات اقتصادية وجعل من قسنطينة المدينة الثانية من حيث النشاط التجاري والصناعي والأولى من حيث الإنتاج الفلاحي[3]، فقد استحدث صالح باي زراعات جديدة[4]، مثل الأرز وشجع على زراعة الزيتون، وأهم مشروع زراعي هو استغلال السهول الخصبة القريبة من قسنطينة[5]، إلى جانب هذه الزراعة كانت هناك تربية الحيوانات حيث يذكر الورثلاني أن سكان قسنطينة يملكون المواشي، وأن إنتاجها كبير فيقول:"...واسعة الأرزاق كثيرة الارتفاق ممدودة

1- بولحبال رياض أخبار بلدة قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2010،2011، ص29.

2- الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ش. و. ن . ت، الجزائر، 1972، ص62.

3- سعيدوني ناصر الدين: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص249.

4- قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة في عهد صالح باي، ص133.

5- فيلالي عبد العزيز والهادي لعروق، المرجع السابق، ص83.

الإنفاق كثير فيها اللحم والسمن والقمح والتين، ما أحسنها من زرع ودرع وضرع تأتيها القوافل من كل النواحي، قليلة الفواكه كثيرة المزارع..."[1].

ولم يبق هذا الإنتاج على حاله إذ تراجع نتيجة للأوضاع التي سادت المدينة من مجاعات، وحروب، وحملات عسكرية ضد القبائل التي أدت في الأخير إلى مصادرة مواشيها كضرائب، إذ يذكر صالح العنتري في كتابه مجاعات قسنطينة بقوله: " أن في سنة 1804، 1805 زمان الأتراك وقعت مجاعات شديدة وقحط وهول أضر بأهل بلد قسنطينة ووطنها، ودام الحال كذلك عليهم مدة ثلاث سنوات متوالية...سببها الجائحة فإنها قد أصابت الزرع بأكله..."[2] .

ثانيا- الصناعة: كانت الصناعة في مدينة قسنطينة بسيطة وقد اعتمدت على الصناعة المحلية والبدوية وكذا المعدنية، غير أنها كانت أهم مدينة صناعية في الجزائر، فهي وحدها شملت على ثلاثة وثلاثين معملا لدباغة الجلود، وخمسة وسبعون معملا للسروج ومئة وسبع وستين معملا للأحذية، لرغم الميزة التقليدية لتلك المنتوجات الصناعية[3].

كما كان بقسنطينة مجموعة من الحرف ، كالخياطة التي تميزت بإدخال الذهب والفضة في عملية التطريز، وكذا وجود مجموعة من النساجين الذين ينسجون الأقمشة الصوفية والسترات الخاصة بالطبقة الفقيرة[4]، وكان العامل القسنطيني ينضوي تحت هيئات منظمة حسب الحرف والتي مازال معظمها قائما إلى الآن، وهي كالآتي:

-النجارون: يهتمون بصناعة الصناديق وغيرها من الأثاث، تصنع من الخشب الذي يتم جلبه من الأوراس.

1- الورثلاني، المصدر السابق، ص ص 685،686.

2- العنتري صالح: مجاعات قسنطينة، تح. تق رابح بونار، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1974، ص ص 28،29.

3- الزبيري محمد العربي، المرجع السابق، ص 62.

4- شلوصر، المصدر السابق، ص 87.

-الحدادون: ويقومون بصهر الحديد و يصنعون منه الأدوات الحديدية كالمنجل والمحراث وغيرها.

-النحاسون: هم الذين يهتمون بصناعة الأواني النحاسية وتزيينها من خلال النقش عليها[1] .

-الفخارون: الذين يقومون بصناعة الأواني الفخارية التي تستغل في البيوت .

وهناك أيضا في قسنطينة جمعيات مهنية أخرى، ولكنها ثانوية بالنسبة للمذكورة سابقا، وأهمها: البنائين، البياضين، الزواقين، الكواشين، الجزارين، الصوابنية، الدخاخنية، القهواجية، الدلالين، الحفافين، الصياغين والخياطين...، والجدير بالذكر أن عددا من هذه الجمعيات الحرفية كانت تستعمل أدوات يستورد معظمها من أوربا ومن نفس البلاد أيضا، تجلب بعض المواد المصنوعة كقطع السلاح، والمسامير وغيرها [2].

لقد تطورت الصناعة في عهد صالح باي وأصبحت مواردها تشكل مردودا هاما من موارد الخزينة، فنشطت الورشات والمعامل الموجودة بالمدينة والدليل على هذا التطور الإحصائيات المسجلة في بعض الوثائق التي كانت معاصرة لهذه الفترة[3].ويذكر الورثلاني أن مدينة قسنطينة كان بها أسواق كثيرة ودكاكين طيبة[4].

ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن القسنطينيين بالكاد عرفوا البطالة قبل الاحتلال، وأن اليد العاملة المحلية كانت تجد الشغل الذي يناسبها في احدى المجالات المذكورة أو في ميدان الفلاحة الذي يستوعب منها العدد الكثير[5].

ثالثا-التجارة: كانت مدينة قسنطينة منذ القدم مدينة تجارية ومسلكا من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، وظلت هذه الحيوية التجارية إلى فترة العهد العثماني[1]،

1- نفسه، ص 63.

2- الزبيري محمد العربي، المرجع السابق، ص 63.

3- سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص 69.

4- الورثلاني، المصدر السابق، ص ص 685،686.

5- الزبيري محمد العربي، المرجع السابق، ص ص63،64.

وباعتبار أن مدينة قسنطينة تقع بجانب إقليمين متكاملين وهما الصحراء والتل، جعلها نقطة مرور القوافل التجارية، والتقاء المسالك وبالتالي منطقة هامة لتوافد التجار الأجانب، هذا ما أكسبها حركة تجارية متنوعة[2]، ويذكر الوزان في رحلته قائلا: " ... أسواق المدينة عديدة حسنة التنسيق، بحيث أن جميع الحرف فيها مفصول بعضها عن بعض، والقسنطينيون شجعان مقاتلون، خصوصا منهم الصناع، وفيها عدد كبير من التجار الذين يتعاطون الأقمشة الصوفية المصنوعة محليا، وبعضهم يرسلون الزيت والحرير...كما يفعلون بالأقمشة، وكل هذه البضائع تستبدل بالتمر والرقيق..."[3] .

من خلال دراستنا لموقع مدينة قسنطينة وتطورها التاريخي والحضاري عبر مختلف العصور يمكن القول أن موقع المدينة يتوفر على خصائص طبيعية كان لها الدور البالغ في ظهورها، ونموها، واستمرارها عبر التاريخ بداية من الفترات القديمة إلى غاية العهد العثماني الذي شهدت فيه المدينة ازدهار الحياة الاقتصادية والاجتماعية خصوصا في عهد صالح باي، فهي تملك موقعا استراتيجيا أهلها بأن تكون منطقة مرور القوافل التجارية و نقطة التقاء العديد من المسالك.

مرت مدينة قسنطينة بمراحل تاريخية تباينت فيها الحياة بين التطور والانكماش، حيث كانت متسعة العمران في الفترة النوميدية لما كانت عاصمة، ومع الفتوحات الإسلامية شهدت انحصارا كبيرا من جراء فقد مركزها الإداري الذي لم يعد إليها إلا خلال العهد الحفصي الذي بدأت فيه تسترجع مكانتها، وتحولت إلى احدى أكبر المدن، كما استفاد العثمانيون من إرث المدينة التاريخي فجعلوا منها عاصمة لبايلك الشرق.

1- قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة مدينة وموروثات، ص20.

2- بولحبال رياض، المرجع السابق، ص 31.

3- الوزان، المصدر السابق، ص 56.

الفصل الثاني:

المؤسسات الثقافية في مدينة قسنطينة

خلال العهد العثماني

1- المساجد والكتاتيب

2- الزوايا

3- المدراس والتعليم

4- المكتبات

تعتبر المرافق الدينية والتعليمية من أهم المعالم في المدن الإسلامية وفي مقدمتها نجد المساجد، الزوايا، المدارس، الكتاتيب .... الخ.

إذ تعد هذه المرافق رمزا من رموز الثقافة العربية الإسلامية، حيث كانت هذه المؤسسات تلعب أدوارا مختلفة في الحياة الاجتماعية عامة والثقافية خاصة، وبالخصوص المساجد التي لم يقتصر دورها على العبادة فقط، فكان المسجد مركزا تعليميا وتثقيفيا وسياسيا وإداريا إضافة إلى أنه مكان لحفظ المال وفض النزاعات بطريقة القانونية.

إلى جانب هذا كان للمدارس القرآنية أيضا دور بارز في تعليم مختلف طبقات المجتمع، علاوة على هذا نجد الزوايا والطرق الصوفية، والرباطات التي ساعدت هي الأخرى في الحفاظ على الهوية الإسلامية الجزائرية في العهد العثماني، فالمراكز التعليمية في الجزائر تعد من التراث الثقافي التي كانت نتاج عملية تاريخية تظافرت في إنجازها جملة من العلاقات والشروط عبر مراحل معينة.

تعد هذه المرافق بمثابة الإشعاع الثقافي، والعلمي للجزائر العثمانية، الأمر الذي أهلها بأن تكون مرجعا حيا للواقع والتاريخ وللتراث الزخم الذي يستدعي الاهتمام والعناية به.

وعلى هذا الأساس فقد عرفت الجزائر خلال العهد العثماني العديد من المراكز التعليمية، والتي كان لها دور بارز في تنشيط الحركة الثقافية والتعليمية، حيث وجدت العديد من الحواضر العلمية من بينها مدينة قسنطينة التي كانت تحتوي على العديد من المؤسسات الثقافية

كانت المؤسسات التعليمية تقوم على المساجد، والكتاتيب والزوايا والمدارس والمعمرات و الخلوات التي كانت تنتشر في المدن والأرياف، وتتميز بعضها ببرامج تعليم ذات مستوى عالي تمكن الطالب الحائز على إجازة شيوخها من معرفة معمقة بالعلوم الدينية (فقه وأصول وعلم كلام وتفسير وقراءات وتوحيد) والعلوم اللغوية (صرف ونحو وعروض وبلاغة...) والمعارف العلمية (فلك وحساب ومنطق وميراث)[1].

1-المساجد والكتاتيب:

1-1- المساجد:

تعد المساجد من المؤسسات الدينية والتعليمية الهامة ونواتها الأولى فهي من المظاهر والمنشآت المعمارية التي لا يمكن أن تخلو أي مدينة من المدن الإسلامية منها، حيث تعتبر روح وجوهر العقيدة الإسلامية[2].

فكانت المساجد أماكن لأداء الصلاة وتحفيظ القرآن والتعليم، ومعالجة مشاكل الناس[3]، فالمساجد لم تكن مقتصرة على إقامة الصلاة فقط وإنما كانت تقوم مقام المدارس، وبالتالي فكان لهذه المؤسسة الدينية دور كبير في حياة المجتمع[4]، هذا ما ذكره ابن ميمون في كتابه التحفة المرضية، أن المساجد "قد كانت مرتعا لحلقات الدروس اليومية ومحطا

1- سعيدوني ناصر الدين: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية(الجزائر، تونس، طرابلس الغرب) من القرن 14،10هـ/19،16م، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 31، جامعة الكويت، 1431هـ/2010م، ص 72.

2- أشرف صالح محمد سيد: "المراكز الثقافية في دار السلطان" –الجزائر، أواخر العصر التركي، مجلة أماراباك، الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا) العدد 7، مج 4، 2013، ص 64.

3- بوعزيز يحي: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، دار المغرب الإسلامي، 1995،ج1، ص 13.

4- عبدلي لخضر: تاريخ مملكة تلمسان في عهد زيان 1554م1236هـ، ط1، دار الأوطان، تلمسان، 2011، ص 499.

لفنون العلوم التي كانت تدرس لذلك العهد لاسيما في المدن والقرى حيث لا زوايا تقوم بدورها في بث ما أمكنها من العلوم"[1].

وبما أن المساجد كان من مهامها فض النزاعات بين الأهالي عدت بمثابة الرابطة بينهم في الريف والمدينة، فقد كثرت العناية بها فلا تكاد تجد قرية أو نهجا في المدينة من دون مسجد، ومن بين هذه المساجد ما كان يسمى "جامع الخطبة" لأنها كانت تؤدى فيها صلاة الجمعة أو العيدين دون غيرها من المساجد التي غالبا ما تنسب إلى مؤسسيها من سياسيين، عسكريين أو تجار وهذا خلافا للزوايا التي كانت تنسب لأحد الأولياء الصالحين.

وتجدر الإشارة في هذا السياق أن بناء المساجد أصبحت ظاهرة في المجتمع[2]، تشيّد نتيجة المبادرات الفردية لأن الدولة لم تكن تولي الاهتمام ببناء المساجد وغيرها من المؤسسات الدينية، وما كان يقوم به الحكام من تشييد المساجد، وحبس الأوقاف لها من مالهم الخاص، ما هو إلا تعبير عن واجبهم الديني[3].

وتقسم المساجد من حيث تأسيسها، وأدوارها حسب الأستاذ يحيى بوعزيز إلى أنواع:

- **النوع الأول:** ما أسسه الحكام كالخلفاء والأمراء والولاة، وهو جزء من عملهم الوظيفي المتمثل في خدمة الإسلام والمسلمين أو ما كان للشهرة ومحاولة كسب عطف الرعية كجامع سوق الغزل بقسنطينة.

- **النوع الثاني:** ما أسسه الأثرياء لكسب الشهرة والتقرب إلى الله، أو للتقرب إلى عامة الناس مثل جامع سيدي عبد الرحمن الثعالبي.

1- ابن ميمون محمد الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق. تح. محمد بن عبد الكريم، ط2، ش.و.ن.ت ، الجزائر، 1981، ص 59.

2- سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي1830،1500، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ج1، ص 245.

3- عمورة عمار: الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ج2، ص 134.

- **النوع الثالث:** هو ما أسسته فئات اجتماعية أو مؤسسة وهي معظم مساجد الجزائر[1].

رغم تنوع المساجد إلا أن الهدف والدور الرئيسي لها تمثل في ترسيخ القيم والأخلاق والعادات الحميدة بفضل وظائفه المتعددة.

لقد اشتهرت حواضر الجزائر خلال العهد العثماني بكثرة مساجدها التعليمية، حيث انفردت كل مدينة بجامعها الأعظم الذي كان يمثل معهدا للتعليم، فمدينة قسنطينة بها جامعها الأعظم الذي جذب إليه الرحالة والعلماء لطلب العلم والنهل من مكتبته، ومنهم الشيخ أبو حفص الوزان[2].

فقسنطينة حسب الورثلاني الذي زارها في القرن الثامن عشر ميلادي يوجد بها خمسة جوامع خطبة[3]، فقد عرف إقليم قسنطينة العديد من المساجد خاصة في عهد صالح باي، إذ عمل هذا الأخير على الاعتناء بالمـساجد، وتـرميـمها وتشييدها[4]. حيث بلغ عددها خمسة مساجد كبرى وسبعين مسجدا صغيرا انتشرت عبر أحياء المدينة[5]. ومن بين هذه المساجد نذكر:

- **الجامع الكبير:** يقع بالحي الذي كان يسمى بالبطحاء أو ببطحاء السويقة في الطرف الجنوبي[6] وسوق الجلود بشارع العربي بن مهيدي الذي يعرف عند العامة بالطريق الجديدة[7]، عن اليمين المتوجه نحو القنطرة القديمة الواصلة بين المدينة و محطة السكة الحديدية، بالإضافة إلى تربع الجامع على مساحة معتبرة، كونه يطل على عدة أحياء

1- بوعزيز يحي ، أوضاع المؤسسات الثقافية، ص ص 13، 14.

2- نفسه، ص 36.

3- الورثلاني، المصدر السابق، ص 285.

4- فايست أوجين: تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي 1792،1873، تر. صالح نور، تق. الشيخ عبد الرحمان شيبان، دار قرطبة، ص47.

5- لعروق محمد الهادي، المرجع السابق، ص 81.

6- شغيب محمد المهدي، المصدر السابق، ص 232.

7- سعد الله أبو القاسم ،تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 181.

مهمة[1]، فوصفه المؤرخ شيربونو بأنه يشكل في الحي شبه الجزيرة[2]، بالإضافة إلى أنه يصنف من ضمن أكبر وأجمل جوامع المغرب الإسلامي حيث قال عنه حسن الوزان عندما زار مدينة قسنطينة "... ومتحضرة قسنطينة ومليئة بالدور الجميلة والبناءات المحترمة بالجامع الكبير... "، فموقعه المتميز جعله أهم شاهد من شواهد الإسلام في مدينة الصخر العتيق[3].

يعد تأسيس الجامع الكبير بقسنطينة محل اختلاف بين بعض المختصين فحسب ميرسي يرجع تاريخ إنشائه إلى سنة 633هـ/1236م في حين يرى شاربونو بأن الجامع يعتبر أقدم جامع بالمدينة يعود بناءه إلى القرن الثالث عشر خلال العهد الحفصي[4]، بينما يقال في الكتب التاريخية وعند بعض المهتمين من العلماء والمؤرخين بالمعالم الدينية أهمهم الدكتور رشيد بوروينة الذي يرجع تاريخ تشييده على يد محمد بوعلي البغدادي عام 530هـ/1136م إلى الدولة الحمادية و هذا وفق العبارة التي وجدت منحوتة باللغة العربية عثر عليها موجودة على تجويف المحراب وجاء فيها[5] " هذا من عمل محمد بوعلي البغدادي" بالإضافة إلى ذكر سنة ثلاثين و خمسمائة فاعتمد على هذه الكتابة لتأريخ الجامع و قد جاء نص الكتابة " بسم الله الرحمان الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله تسليما هذا عمل محمد بوعلي البغدادي سنة ثلاثين وخمسمائة "[6]، من خصائص هذه الكتابة أنها خطت بالنمط الكوفي ومن خلالها يرجح تأسيسه إلى سنة

1- غربي كمال: المساجد و الزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، منشورات وزارة شؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011، ص 93.

2- عزوق عبد الكريم: تطور المآذن في الجزائر، ط2، شركة ابن باديس، الجزائر، 2011، ص 44.

3- الوزان حسن، المصدر السابق، ص 56.

4- قشي فاطمة الزهراء: معالم قسنطينة وأعلامها، مجلة الإنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، العدد9، 2013، ص13.

5- بوروينة رشيد: الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، تر، إبراهيم شيوح، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979، ص ص71، 72.

6- دحدوح عبد القادر، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، ص 352.

530هـ/1134 م فهو يرى بأن هذه الكتابة تعتبر من أهم المنجزات القديمة التي تحتل مكانة و أهمية كبيرة ميزتها جملة الزخارف والكتابات المنقوشة على جدرانه[1]، فهي تشكل بذلك جملة من المظاهر التي لا يمكن أن يخلو أي جامع منها لأنها تعبر عن روح وجوهر العقيدة الإسلامية[2]، و بالرجوع إلى مؤرخين آخرين تبين أن هناك من يرى بأن الجامع الكبير بني في عهد الحاكم يحي بن المعز في عهد الدولة الصنهاجية ومن خلال ما سبق دراسته من قبل الباحثين تبين أن سبب الاختلاف في الآراء كان سببه أن الجامع يحوي أكثر من تاريخ يشير إلى عدة أماكن مختلفة[3].

- **جامع سوق الغزل:** ذكر هذا الجامع في عقد عائلي تحدث عنه شيربونو (Cherbonneau)[4]، كما جاء ذكره في كتاب تاريخ حضارة قسنطينة، لكن من دون تحديد تاريخ بنائه بشكل دقيق، وتبقى الكتابة المادية المحفوظة بقصر أحمد باي الدليل المادي الذي يحدد التاريخ وكان ذلك سنة (1143هـ/1730م)[5]، وتشير المصادر إلى أن هذا الجامع بني في عهد الباي كليان حسين المدعو بوكمية، وقد بناه الحاج عباس بن جلول الذي كان يشغل منصب "باش كاتب" عند الباي بماله الخاص،[6] وفي عهد صالح

1- طرشي أحلام صبرينة: صناعة النحاس بقسنطينة، دراسة فنية، رسالة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011،2012، ص37.

2- أشرف صالح محمد سيد، المرجع السابق، ص64.

3- شغيب محمد المهدي، المصدر السابق، ص ص 232، 233

4- cherbonnfau. A :"Inscription arabes de la province de Constantine" on Annustire de la societè archéologique de la province de Constantine ، 1857 ، PP 81-82 .

5- دحدوح عبد القادر: تاريخ آثار مدينة قسنطينة خلال الفترة الإسلامية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2015، ص214.

6- دباح عائشة: الحياة الثقافية والدينية في الجزائر على عهد الدايات(1830،1671م)، رسالة دكتوراه، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر، 2017،2018، ص 272.

باي اهتم بهذا الجامع وخصص رواتبا للموظفين تختلف حسب الرتبة فمثلا يتقاضى الخطيب 100ريال، 50 ريالا للإمام أما المدرس فيتقاضى 48 ريال...[1]. (الصورة رقم:1)

- **مسجد سيدي لخضر:** سمي بجامع سيدي لخضر نسبة إلى الولي الصالح سيدي لخضر الذي كان قيما على الجامع طوال فترة حياته، ودفن خلف الجامع الذي سمي باسمه، بني سنة (1156هـ 1743م)، أسسه حسن أبو حنك بن كلياني حسين[2].(الصورتين رقم:3-4)
- **جامع سيدي الكتاني:** سعى صالح باي إلى تطوير عاصمة البايلك لذلك كان كلما فرغ من الحرب يعمل على بنائها، ومن ذلك بناء جامع سيدي الكتاني سنة (1190هـ/1776م)[3] كما بنى قبله المدرسة التابعة له سنة(1189هـ-1775م)، أما المسجد فأتمه في السنة التي بعدها، تعد هذه المنشأة الدينية تحفة معمارية خاصة لأن صالح باي قد جلب لبنائها الكثير من المواد من إيطاليا بالإضافة إلى الاستعانة بالفنانين الإيطاليين أيضا[4]، وفي سنة 1789م زود قاعة الصلاة بكرسي من الرخام قطعه مستوردة من إيطاليا[5].

وتوجد مساجد أخرى، نذكر منها باختصار:

جامع سيدي بومعزة، جامع سيدي قموش، جامع سيدي محمد بن ميمون، جامع السيدة حفصة[6]...الخ.

1- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 257.

2- بن بلة خيرة: المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007،2008، ص ص 78-80.

3- فايست أوجين، المصدر السابق، ص47.

4- دباح عائشة، المرجع السابق، ص 272.

5- فايست أوجين، المصدر السابق، ص 47.

6- بلقاسم محمد: المؤسسات الدينية التعليمية في الجزائر خلال الحكم العثماني، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، ع 3، جوان 1437هـ/2016م، ص 214.

لكن رغم وفرة المساجد إلا أن بعضها كان في حالة متدهورة، أما البعض منها لم تخصص له أوقاف لصيانته، إذ يقدم الورثلاني وصف بعض المساجد، فيقول: "فلا تكاد ترى في مدائنهم مسجدا عظيما قد أحدث بل ولا مهدما قد جدد ولا واهيا قد أصلح"[1].

وهو بهذا القول يتحدث عن إهمال الحكام في صيانة وترميم المساجد إلا أن هناك بعض من الحكام برزت محاولتهم في أواخر القرن الثامن عشر في النهوض بأمور المساجد، مثل: صالح باي الذي عمل على صيانتها وحفظ أوقافها.

1-2- الكتاتيب:

كانت أقل وحدة للتعليم الابتدائي في تلك الفترة[2]، وهي مأخوذة من الكتاب جمعها كتاتيب، [3] توجد غالبا في أضرحة الأولياء والدكاكين وبعض المساجد التي لا تقام فيها الصلوات الخمس[4]، إذ هي عبارة عن غرف أو حجر خصصت لتعليم الأطفال، وهي موجودة في جميع الأحياء عادة ما تحمل اسم الحي، أو اسم الوقف الذي أسسه أو اسم المعلم[5].

فكان الكتاب عند أهل الريف يسمى بالشريعة" لأنه تدرس به الشريعة أما في المدينة فيطلق عليه المسيد وهو محرف عن تصغير كلمة مسجد، والمكتب عموما كان غير صحي ، فالمكان سواء كان دكانا سابقا أو جزءا من منزل أو قطعة من مسجد كان ضيقا ومعتما وقليل التهوية، وغالبا ما كان الأطفال يحشرون فيه حشرا بدون مراعاة للقواعد الصحية [6].

1- الورثلاني، المصدر السابق، ص 266.

2- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 276.

3- بلقاسم محمد، المرجع السابق، ص 218.

4- ابن ميمون، المصدر السابق، ص 58.

5- عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ ، ج2، ص 139.

6- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص ص276-278.

لقد خصصت هذه المؤسسة التعليمية في تحفيظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة وكذلك ترسيخ العقيدة الإسلامية وتثبيت قواعدها، إذ كانت تحمل رسالة تربوية وتعليمية في نفس الوقت[1]، حيث أن فتح الكتاتيب وبنائها كان مسؤولية جميع طبقات المجتمع، فالبايات والموظفون كانوا يشتركون مع الأهالي في هذه المهمة العلمية والخيرية وعلى هذا الأساس فقد عرفت الجزائر العثمانية انتشارا واسعا للكتاتيب خاصة خلال القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي.

وحسب الأستاذ بوعزيز فإن هذا النوع من المراكز التعليمية (المكتب) أسس من أجل تجنيب المساجد ضوضاء الأطفال والحفاظ على نقاوتها، وطهارتها ورغم المظهر المزرى أحيانا لهذه الكتاتيب القرآنية وفقر أصحابها والمنهج التقليدي المعتمد فيها، إلا أن دورها الكبير يتجسد في المحافظة على القرآن الكريم وبالتالي الحفاظ على الهوية الإسلامية العربية للجزائر وحتى مقاومة التنصير و الفرنسة[2].

2- الزوايا:

هي الأخرى لم تكن أقل شأنا من المساجد، والدليل على ذلك هو انتشارها بين الأوساط الشعبية في المدن والأرياف.

حيث يذكر ابن ميمون: "لقد كانت الزوايا تحتل الصدارة بين مراكز الثقافة من ناحية تثقيف المعوزين والفقراء من أبناء الشعب المتعطشين إلى العلم والمعرفة' وقد كانت مقسمة إلى قسمين وكل قسم يقوم بدوره أحسن قيام.

القسم الأول: يقوم بتحفيظ القرآن الكريم، يؤمه -غالبا- الغرباء الذين سبق لهم أن تعلموا الحروف الهجائية، واستظهروا بعض السور من الذكر الحكيم.

1- أشرف صالح محمد سيد ، المرجع السابق، ص ص 68-69.

2- بوعزيز يحي: أوضاع المؤسسات الثقافية خلال القرنين 19، 20م، الثقافة، 1981، ص 18.

القسم الثاني: فانه يقوم بتدريس بعض فنون الوقت لاسيما الفقه وقواعد النحو والصرف، كذلك فنون البلاغة والمنطق وبعض المبادئ في علم الفلك، وهذا القسم يؤمه غالبا المستظهرون لكتاب الله العزيز من طلاب العلم الشريف[1]، وقد كانت هذه الزوايا بمثابة مخازن ودواوين للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم والفنون، وذلك بفضل اهتمام شيوخها وأتباعها بالعلم والتعليم، والنسخ والنقل والتأليف والجمع، غير أن معظم ما بها من تراث تسرب إلى البلدان الأوروبية خلال فترة الاحتلال الفرنسي[2].

حيث يعرفها ديفول أنها مؤسسة تعليمية يتفرغ فيها المرابطين للتعليم وإيواء الطلبة الذين يزاولون دروسهم والغرباء والمعوزين[3]، كما عملت على دمج فئات المجتمع بغض النظر على الانتماء العرقي[4].

فبالرغم من تعدد المراكز التعليمية، إلا أن هناك العديد من الملحقات كانت تابعة للزاوية، منها المسجد، والمدرسة، والمتاجر، والدكاكين، والمكتبات وغيرها من المؤسسات التعليمية[5]، وهذا يدل على أهمية الزاوية واعتبارها مركزا للسلطة الروحية، وقد قسمت الزوايا في الجزائر إلى نوعين، بحسب خصوصيات ووظائف كل نوع.

إن تعدد الزوايا في الجزائر، سمح بوجود أنظمة مختلفة أدت إلى وجود ثلاثة أنواع من الزوايا :

-**زاوية المشايخ:** وهي ملكية لمؤسسها وبها نظام وراثي أي يسهر على تسييره الشيخ المؤسس أو خلفه، ونجد فيها النوع الخلواتي والغير خلواتي، الأول يدعي شيوخه

1- ابن ميمون، المصدر السابق، ص ص58،59.

2- بوزرينة سعيد: محاضرات في تاريخ الجزائر الثقافي الحديث والمعاصر1، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، البيض، 2016،2017، ص 62.

3- غطاس عائشة: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسة والبحث، 2007، ص 300.

4- عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ ، ج2، ص 135.

5- ابن ميمون، المصدر السابق، ص ص59-61.

المعرفة بالأسرار الدينية الغيبية ولهم مريدين، وورد خاص بهم ويسمون بالطرقيين باعتبار أن لكل واحد منهم طريقته الخاصة يفرضها على أتباعه، أما النوع الغير خلواتي فهو الذي لا يدعي شيوخه معرفة الغيب، وهم أيضا لهم ورد خاص بهم[1].

- **زاوية المرابطين:** تختلف بعض الشيء عن زوايا المشايخ، حيث أن الملكية ليست وراثية خاصة بأصحابها وإنما هي زوايا حرة لا تنسب إلى ولي أو طريقة صوفية.

- **زاوية الطلبة:** حيث يتولى تسيير شؤونها على المستوى الداخلي أو الخارجي مجلس يتكون من الطلبة[2].

ويمكن إضافة نوع آخر من الزوايا وهو الزوايا المنسوبة التي تنسب إلى شخص ميت تقدسه العامة وتحيي ذكراه ويكون مدفونا بالزاوية[3].

فكان من خصائص الفترة العثمانية في الجزائر انتشار الزوايا، وزادت أهميتها خاصة خلال القرن السادس عشر ميلادي بعد سقوط الأندلس، وامتداد الأطماع الأوروبية على السواحل الجزائرية[4].

أما قسنطينة وضواحيها فقد اشتهرت هي الأخرى بالعديد من الزوايا حيث أشار الأستاذ سعد الله بأنها بلغت ستة عشرة زاوية[5]، حيث كانت العائلات المعروفة لها زوايا خاصة بها مثل: زاوية أولاد الفكون، وزاوية ابن نعمون، كذلك زاوية أولاد جلول، وزاوية بني مسعود[6]، غير أن معظم هذه الزوايا اندثر والبعض منها عرف تحولات وتغيرات

1- بوزرينة سعيد، المرجع السابق، ص 59.

2- مريوش أحمد: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحوث، دار النهضة، الجزائر، 2007.، ص 154، 155.

3- بوزرينة سعيد، المرجع السابق، ص 60.

4- جاب الله طيب: دور الطرق الصوفية و الزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة المعارف، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة البويرة، ع 14، 2003، ص 138.

5- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 264.

6- سعد الله أبو القاسم ، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، ص37.

جذرية في عمارتها، والقليل منها لا يزال يحافظ على بعض الأجزاء الأصيلة فيها مثلما هو الحال بالنسبة لزاوية سيدي عبد المؤمن وزاوية حنصالة، وزاوية بن عبد الرحمان، حيث لازالت تحافظ الأولى على بيت الصلاة والصحن وبعض الغرف، أما الثانية فلم يسلم من التجديدات بها غير بيت الصلاة[1]ونذكر نماذج منها:

- **زاوية سيدي التلمساني:**

مؤسسها الشيخ سيدي علي التلمساني، وأما فيما يخص تاريخ تأسيسها فيعود الفضل في معرفة ذلك إلى الكتابة التأسيسية الموجودة بمتحف سيرتا، والتي جاء فيها ذكر مؤسس الزاوية ، وتاريخ بنائها والذي كان في سنة (946هـ/1540م)[2].

- **زاوية سيدي عبد المؤمن:**

تنتسب هذه الزاوية إلى سيدي عبد المؤمن الذي كان يشغل منصب شيخ الإسلام وأمير الركب الحجازي منذ العهد الحفصي[3]، وتعد هذه الزاوية من المعالم التي لم تتحدث عنها المصادر التاريخية، إذ يجهل تاريخ بنائها وما هو معلوم هو تاريخ تجديدها المنقوش على لوحة رخامية فوق مدخلها، والذي كان في سنة (1183هـ-1769م)[4]، لكنه وبالاعتماد على الشخصية التي تنسب إليها هذه الزاوية وهو سيدي عبد المؤمن فيعود تاريخ بنائها إلى القرن (10هـ-16م)[5].(الصورة رقم:11).

- **زاوية النجارين: (حنصالة)**

تعرف هذه الزاوية باسمين زاوية النجارين وزاوية حنصالة، فأما بالنسبة للأولى فهو نسبة إلى سوق النجارين الذي كانت تنفتح عليه الزاوية خلال الفترة العثمانية[6]، أما الثاني

1- حروش مفيدة، المرجع السابق، ص ص 103،104.

2- دحدوح عبد القادر، تاريخ آثار مدينة قسنطينة، ص 626.

3- دحدوح عبد القادر، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، ج1، ص344.

4- دحدوح عبد القادر، تاريخ وآثار مدينة قسنطينة، ص 228.

5- حروش مفيدة المرجع السابق، ص 105.

6- نفسه، ص111.

فهو مأخوذ من الطريقة الصوفية التي كانت تتبعها والمتمثلة في الطريقة الحنصالية نسبة إلى مؤسسها الشيخ يوسف الحنصالي الذي كان من ضواحي قسنطينة[1].

-زاوية باش تارزي:(زاوية بن عبد القادر)

أسسها العلامة الولي الهمام الشيخ السيد الحاج عبد الرحمان بن أحمد بن حمودة ابن مامش باش تارزي الجزائري المنشأ القنسطيني[2]، أما بخصوص تأسيسها فليس هناك تاريخ محدد يشير إلى بناء هذه الزاوية بشكل دقيق ، والكتابة الأثرية الوحيدة التي توجد بها، وجدت على ضريح مؤسس الزاوية، والتي تشير إلى تاريخ وفاته الذي كان في 3 جمادى الأولى 1221هـ-19 جويلية 1806م[3]، ومما هو مؤكد أنها ترجع إلى أوائل القرن 13هـ أواخر القرن 18 م، حيث ورد ذكرها في المجلد الثاني من سجلات المحكمة الشرعية في عقد مؤرخ بـ 1 محرم 1209هـ/29 جويلية 1794م، وفي عقد آخر بتاريخ 1 صفر 1209هـ/28 أوت 1794م[4].

3-المدارس والتعليم:

3-1-المدارس:

لقد كانت المساجد والزوايا هي القاعدة الأساسية في نشر العلم والمعرفة إلا أن المسجد لا يستطيع القيام بكل تلك المهام مما أدى إلى انتشار مراكز أخرى حملت إلى جانبه لواء التعليم والتعلم منها، المدارس[5]

التي عرفت انتشارا واسعا خلال العهد العثماني، حيث لا يكاد يخلو حي من أحياء المدن من هذه المدارس، الأمر الذي أذهل كل من زار الجزائر خلال العهد العثماني من

1- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 518.

2- الحفناوي محمد أبي القاسم: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906، ص 197.

3- دحدوح عبد القادر، تاريخ وآثار مدينة قسنطينة، ص 230.

4- حروش مفيدة المرجع السابق، ص 115.

5- بوعزيز يحي، أوضاع المؤسسات الثقافية، ص 19.

كثرة مدارسها وقلة الأمية بها، فكانت الأوقاف تلعب دورا هاما في انتشار المدارس والتعليم[1].

وتجدر الإشارة إلى أن حواضر الجزائر عرفت انتشارا كبيرا للمدارس، فالأقوال كانت متضاربة حول عددها وهذا يعود على أن معظمهم كان يدخل الزوايا في عدد من المدارس[2].

وكان إقليم قسنطينة يعرف نشاطا في الحركة العلمية إذ وجدت بمدينة قسنطينة العديد من المدارس وهي لا تقل أهمية عن مدارس مدينة الجزائر، حيث قدر عددها عند دخول الفرنسيين بـ: 90 مدرسة ابتدائية بالإضافة إلى سبع مدارس تخصص للتعليم الثانوي والعالي[3]، أهمها:

- **المدرسة الكتانية:** تأسست هذه المدرسة على يد صالح باي في سنة 1189هـ-1775م، وتبركا بالولي الصالح سيدي عبد الله بن هادي المعروف بسيدي الكتاني، أطلق عليها اسم المدرسة الكتانية، وقبل تأسيس هذه المدرسة سبقها بناء مسجد سيدي الكتاني، وصرف عليه أموالا قل نظيرها، وجعل له أوقافا كثيرة، بمعنى أن هذه المدرسة هي مكملة لهذا المسجد وتعد امتدادا له، وخصص لهما أوقافا خيرية كثيرة بلغت ستة عشرة عقدا، حسب سجل صالح باي للأوقاف، حيث كان هذا الباي كلما بنى مسجدا إلا ويلحق به مدرسة تكون مجاورة له[4] ، تقع هذه المدرسة بجوار جامع سيدي الكتاني وملاصقة له من

1- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 274.

2- نفسه، ص 375.

3- نفسه، ص 276.

4- قاصري محمد السعيد: المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان، عصور جديدة، ع 18، أوت 1436هـ/2015م، ص 155.

الجهة الشرقية، وهي تنفتح على شارع بوهالي العيد[1] أما العلماء المدرسين بهذه المدرسة فنذكر منهم على سبيل المثال: الشيخ عبد القادر الراشدي الحنفي، الشيخ...[2].

- **مدرسة الجامع الأخضر:** اشتهرت المدرسة منذ نشأتها باسم مدرسة جامع سيدي لخضر نسبة إلى الشيخ سيدي لخضر الذي كان أول عالم في المسجد المجاور للمدرسة[3].

تقع هذه المدرسة بجوار الجامع الأخضر في الجهة الشرقية منه، وهي تعلو في جانبها الشمالي ميضاءته، وفي نصفها الجنوبي الحوانيت التي تنفتح على الساباط الذي يربط بين نهج سيدي لخضر ونهج بن صغير عبد الوهاب المفتوح على رحبة الصوف[4]، ويعود تأسيسها إلى صالح باي سنة (1193هـ/1779م)، ويستشف هذا من الكتابة التي كانت تزين قاعة الدرس[5].التي كان بها يتم تدريس النحو، والفقه وتفسير القرآن والتوحيد، وعلم الحديث أو السنن المحمدية، ويتقاضى المدرسون أجورهم من ميزانية المسجد[6].

لقد عرفت مدارس قسنطينة تطورا وإشعاعا ثقافيا خاصة في عهد صالح باي فقد قام هذا الأخير بتأسيس مدارس كثيرة، وذلك من أجل تعليم مختلف العلوم، حيث كان لها نظام خاص إذ أبقت عليها فرنسا في مدينة قسنطينة وجعلتها لإنشاء القضاة والمترجمين[7].ويعترف فايست أن النظام الذي أحدثه صالح باي يشبه نظام التعليم في

1- دحدوح عبد القادر، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، ص 322.

2- قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص 155.

3- حروش مفيدة، المرجع السابق، ص 97.

4- دحدوح عبد القادر، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، ص 327.

5- حروش مفيدة، المرجع السابق، ص 97.

6- فايست أوجين، المصدر السابق، ص49.

7- قاصري محمد السعيد، المرجع السابق، ص ص 159،160.

الثانويات الفرنسية على عهده، حيث أن صالح باي صاغ قانون[1] صدر في سبتمبر 1780م[2]، يحدد من خلاله النظام الداخلي للمدارس وبذلك يكون لها نظام موحد.

3-2-التعليم:

ا- مراحل التعليم:

كان التعليم في الجزائر خلال العصر العثماني لا يختلف عن التعليم ببقية البلاد الإسلامية بصفة عامة وفي بلاد المغرب العربي بصفة خاصة[3] حيث ينقسم إلى مراحل:

- المرحلة الابتدائية:

إن التلميذ عند التحاقه بالكتاب أو ما يسمى "بالمسيد" يبدأ مباشرة في تعلم الحروف الهجائية بواسطة اللوح المصلصل[4] والقلم القصبي ثم ينتقل تدريجيا إلى تعلم الكتابة وحفظ القرآن[5] الذي تراعى فيه عدة مقاييس من بينها الاستقامة وحسن السيرة والسمعة الطيبة..

إضافة إلى هذا فإن التعليم القرآني لم يكن مقتصرا على حفظ سور من القرآن وتعليم القراءة والكتابة بل يضاف إلى ذلك تعليم المبادئ الدينية كأحكام الطهارة والعبادة والعقائد، وفي هذا الصدد يقول محمد بن علي السنوسي " أنه تعلم زيادة على حفظ القرآن مبادئ

1- يوازي هذا القانون اليوم القانون الداخلي للمؤسسات التعليمية وتضمن مجموعة من الشروط : تشمل المدرسة على مسجد(قاعة تصلح للصلاة) وعلى خمسة غرف تخصص واحدة منها للأستاذ والباقية للطلبة وعلى مائضة للوضوء، وغرفة المهملات. وعدد الطلبة الداخليين ثمانية، وينامون بمعدل اثنين في كل غرفة. وهناك وكيل يكلف بالمدخولات والمصاريف، وبواب لكني المدرسة، وإشعال المصابيح في القاعة المخصصة للصلاة...ينظر فايست أوجين، المصدر السابق، ص ص49-51.

2- فايست أوجين، المصدر السابق، ص49.

3- سعدوني ناصر الدين، المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج4، 1984، ص 203.

4- المصلصل: مصدر صلصال طين يابس لم تصبه النار قال الله تعالى "خلق الإنسان من صلصال كالفخار" سورة الرحمان، الآية 14، صخر طيني يحتوي على مادة لاحمة هي السليكان يتميز بشدة لزوجته عند البلل موقع قاموس المعاني www.almaany.com/ar/dict/

5- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص336.

العلوم اللغوية والتوحيد والفقه[1]، وعليه يمكن القول أن هذه المرحلة شكلت حلقة مهمة في التعليم، فحسب الأستاذ أبو القاسم سعد الله فإن إتقان التلميذ للكتابة والقراءة وتعلمه قواعد الدين ومبادئ الحساب وبعض المتون هي التي تكون أساس تعليمه الثانوي فالتلميذ يختم القرآن حفظا.[2]

ومن المواضيع المدروسة أيضا النحو والصرف، ومبادئ وعقائد الإيمان وفروع الشريعة إضافة إلى الشعر وأسماء الشهور العربية والعجمية[3].

تخصصت الكتاتيب في هذه المرحلة باستظهار كتاب الله عز وجل، حيث يعد أول طور يتلقى فيه الطفل تعليمه[4]، وكان يقوم بهذه المهمة معلمون من حفظة القرآن فلا يشترط في معلم الأطفال أن يكون متحصلا على شهادة أو قام بتربص[5]، إلى جانب هذا كان الأطفال يدخلون إلى الكتاب في سن مبكرة ويرجح أن سن الدراسة في هذه المرحلة كان ما بين السنة الخامسة والسابعة من العمر، وذلك تبعا لاختلاف نضج الأطفال، فإن وجد الطفل يميز ويدرك دفع به أبوه إلى الكتاب وفي هذا الصدد قال ابن سحنون "إذا بلغ الطفل الخامسة والسادسة من العمر ساقه أبوه إلى الكتاب وأوصى عليه المعلم بما يناسبه واتفق معه على معين الأجرة...وفي غالب الأحيان يوضح الأب للمؤدب المواد التي يريد تلقينها للصبي، كما يبين له أيضا الطريقة التهذيبية التي يرى سلوكها مع ولده"[6] وعلى هذا الأساس تعتبر هذه المرحلة أساسية في التعليم حيث عندما يجتازها الطفل بنجاح عادة ما

1- سعيدوني ناصر الدين، المهدى بوعبدلي، المرجع السابق، ص204.

2- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 315.

3- مغراوي أحمد بن جمعة: جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان تح. أحمد جلولي البدوي ورابح بونار، ش و ن ت، الجزائر 1975، ص ص 47، 48.

4- ابن ميمون، المصدر السابق، ص 140.

5- عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ، ج2، ص 140.

6- ابن سحنون محمد: كتاب آداب المعلمين، تح. حسن حسني، تعل. محمد العروسي المطوي، ط2، مطبعة المنار، تونس، 1971، ص 50.

تكون بختم القرآن ابتداء من سورة الإخلاص فالأعلى والجن والنبأ، فالملك إلى سورة البقرة، حينئذ يقيم والي التلميذ حفلة أو مأدبة يشارك فيها الأصدقاء والجيران وكل حسب مكانته ووضعيته الأسرية.

وهكذا كان التعليم في هذه المرحلة له نظام داخلي تحدد فيه بدقة أوقات العمل[1]. وعليه إما أن يواصل الطالب دراسته الثانوية وإما أن يمارس التجارة مع أهله أو ينخرط في الجيش وغيره من شؤون الحياة[2].

- مرحلة الثانوية:

وهي المرحلة الثانية من التعليم ينتقل إليها الأطفال الذين أتموا تعليمهم في المرحلة الأولى فالتعليم في هذه المرحلة كان يشمل فنونا متعددة مثل الفقه والنحو والبلاغة[3] والعرض والقوافي وأيضا قواعد الإنشاء، باعتبارها أداة ووسيلة لإتقان[4] العلوم الدينية فمواد التدريس في هذا الطور انحصرت في رواية الحواشي والشروح والمختصرات فمادة الفقه كان تدريسها يعتمد على المرشد المعين، ومختصر الشيخ خليل بينما النحو فإن الكتب المدرسية في هذه المادة هي ألفية بن مالك بينما مادة الحديث والعقيدة فقد ارتكزت على صحيح البخاري[5].

ورغم سيطرة العلوم الدينية واللغوية فإن بعض المدرسين كانوا يهتمون بالعلوم "المحضة" كالحساب والفرائض والوثائق وعلم الفلك والمنطق والكيمياء وغيرها من العلوم التي سعى العديد من المدرسين إلى ترسيخها وتعليمها إلى الطلبة مثل ابن حمادوش الذي

1- سعيدوني ناصر الدين، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 203.

2- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 343.

3- نفسه، ص 350.

4- بوعزيز يحي، أوضاع المؤسسات الثقافية، ص 15.

5- أبو رأس الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تق. تح، محمد غالم، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ج1، ص ص11-13.

حاول إقناع الطلبة بتعلم الحساب بتذكيره بأن أهل تونس وأهل الأندلس كانوا أول من يعلمون أولادهم الحساب والنحو ليتذوقوا لذة العلم[1].

- مرحلة التعليم العالي:

هي المرحلة التي ينتقل إليها الطلاب من الثانوية إلى المعاهد العليا ما يشبه في يومنا الجامعة، وهذا التعليم كان ينشده الذين كانت لهم القدرة على فهم الدروس التي يلقيها كبار الأساتذة لأن هذه الدروس كانت أوسع من الأولى في الشرح والزيادة في المسائل العلمية.

وعلى هذا الأساس فإن الطالب في هذه المرحلة يركز على فرع معين من العلوم الدينية من قراءات وتفسير وحديث والعلوم العقلية والاجتماعية والأدب وغيرها بمزيد من التعمق والتفصيل[2].

كانت أماكن التعليم العالي تتواجد داخل المساجد المشهورة كالجامع الأعظم الذي تعد مدرسته شبه جامعة لشهرة العلماء الذين كانوا يدرسون بها، وللمرافق التعليمية التي كانت تحتويها مثل: المكتبة ومرقد الطلاب والأساتذة والضيوف والغرباء[3].

وتتميز الدراسة في هذه المرحلة بحرية الطالب في اختيار المواد الدراسية حسب ما يتوافق مع طاقته، وإمكاناته الفكرية، كما كانت له حرية اختيار الأساتذة الذين يميل الطالب إليهم والأساتذة بدورهم كانوا يحترمون رغبات الطالب، كان يقوم على تدريس الطلبة في هذه المرحلة أساتذة متخصصون في علم من العلوم سواء دينية أو دنيوية[4].

إلى جانب هذا كان الأستاذ يعين من طرف الباشا باقتراح من ناظر الأحباس على شرط أن يكون متحصلا على إجازة، أو ما يشبه اليوم بالشهادة الجامعية وبالمقابل يوفر

1- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 351.

2- عبدلي لخضر، المرجع السابق، ص 473.

3- عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ، ج2، ص 140.

4- عبدلي لخضر، المرجع السابق، ص 473.

له سكنا بالمجان ويتلقى أجرا شهريا من الأوقاف، ونظرا لمستواه العالي كان غالبا ما يجمع الأساتذة في هذه المرحلة بين الوظيفة التعليمية ووظائف أخرى كالإفتاء والقضاء[1].

لم يكتف طلبة العلم بما كانوا يتلقونه من علوم في مدينتهم فيشدون الرحال متنقلين من بلد إلى آخر في سبيل طلب العلم ويجوبون الأقطار للقاء العلماء المشهورين، وكان الكثير منهم يرحل إلى أقطار المغرب الأخرى، والأندلس، والشرق فتأثرت الحياة الفكرية إلى مدى بعيد بهذا الاحتكاك مع علماء الأقطار الإسلامية الأخرى[2].

وكانت ميزة الدروس في التعليم الثانوي والعالي أيضا تعتمد على الشرح والإملاء، فقد كان لكل مدرس مسمع يقرأ له النص أو جزء من الكتاب المدروس، ثم يأخذ المدرس في شرح المسألة وتوضيحها، والاستشهاد لها من محفوظه ومعقوله، وقد لا ينهي المدرس المسألة في نفس الجلسة.

وعلى هذا الأساس فإن ميزة المدرس الناجح هي الخوض في الجزئية الواحدة عدة مرات ومن عدة وجوه، فيصبح الطلاب في هذه الحالة حريصين على ألا تفوتهم شاردة ولا واردة من الدروس[3].

4-المكتبات:

تعد المكتبات من المراكز الثقافية والتعليمية التي تعكس تراث الأمة وتطورها العلمي والأدبي والفني، حيث يذكر سعد الله أن الجزائر خلال العهد العثماني كانت في مقدمة البلدان الكثيرة الكتب والمكاتب، إذ كانت الكتب تنتج محليا عن طريق التأليف والنسخ، أو التجليد من الخارج كالحجاز، مصر، إسطنبول، الأندلس، ويقول أيضا أنه قد وجد عدد كبير من المكتبات قبل مجيء العثمانيين، وقسنطينة خير دليل على صناعة الكتاب من

1- عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ ، ج2، ص 140.

2- حاجيات عبد الحميد: الحياة الفكرية، بتلمسان في عهد الزيانيين، مجلة الأصالة، ع 26، 1975، ص 137.

3- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 345.

حيث التأليف والنسخ والجمع، بدرجة عالية، فكان للعلماء الفضل الكبير في جلب الكتب المتنوعة من العديد من الأماكن، ويضيف أن القضاة والدراويش عند المجيء بهم إلى الجزائر، اصطحبوا معهم مكاتبهم وأوراقهم ووثائقهم وأهم الكتب التي جاؤوا بها الفقه الحنفي وصحيح البخاري[1].

لقد كان محتوى المكتبات خلال العهد العثماني معظمه عبارة عن رصيد للعلوم الدينية منها الكتب المختصة في الفقه والأحاديث والتفسير، وكذلك التوحيد والعلوم اللغوية والآداب، أما التاريخ والجغرافيا والفلسفة فكانت قليلة وبالنسبة لكتب الحساب والطب والفلك أقل بقليل[2].

إلى جانب هذا فإن أهل قسنطينة هم أيضا كانوا مولعين باقتناء الكتب والبحث عن نفائس المخطوطات، حيث اختلفت طرق اقتناء الكتب، إذ أن الحارصين على جمع الكتب كانوا ينسخون الكتب بأنفسهم، أو ينسخها غيرهم كتلاميذهم أو كتابهم، وقد اشتهرت مدينة قسنطينة بالناسخين والخطاطين، ومنهم أبو عبد الله بن العطار من أسرة شهيرة تولت الوظائف الرسمية في العهد العثماني[3].

وتجدر الإشارة إلى أن المكتبات مقسمة إلى قسمين:

أ- **المكتبات العامة:** هي مكتبات وقفا على المساجد والزوايا والمدارس حيث كان يلجأ إليها الطلبة والأساتذة من جميع النواحي للمطالعة فهي تضم مختلف المخطوطات في شتى الفنون[4]، وقد كانت مساجد الخطبة تحتوي على خزائن الكتب التي تم وقفها على الطلبة والعلماء، وتعد مكتبة المدرسة الكتانية في قسنطينة من أشهرها في بايلك الشرق[5].

1- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 285.

2- عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ، ج2، ص 142.

3- أشرف صالح محمد السيد، المرجع السابق، ص 72.

4- ابن ميمون، المصدر السابق، ص 60.

5- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 296.

ب- المكتبات الخاصة: لم يكن اقتناء الكتب حكرا على المكتبات العامة الموجودة بالجوامع والزوايا، فكانت العائلات التي نالت شهرة علمية لها مكتباتها الخاصة وعددها كبير جدا، مثل عائلة ابن الفكون التي كانت تمتلك أضخم مكتبة وهي مكتبة حمودة الفكون بالإضافة إلى مكتبة باش تارزي وابن عيسى[1].

وقد ذكر سعد الله أن المكتبات في الريف لم تكن تختلف عن المكتبات في المدينة، إذ كان لها دور كبير في تنشيط الحركة التعليمية في البلاد، مما يدل على وفرة المخطوطات، إلا أن الكثير منها كان قد تعرض للضياع، سواء نتيجة الإهمال والنهب والتهريب، ومن جهة أخرى الحروب مع الأجانب، مما أدى إلى إتلاف العديد من المكتبات[2].

علاوة على هذه المراكز العلمية فقد ذكر ابن ميمون أيضا الدكاكين التجارية التي كانت تستعمل نهارا للبيع والشراء، أما عند حلول الليل فتتحول إلى مسامرات أدبية إضافة إلى الأندية المنزلية التي كانت تقام في منازل وبيوت الفقهاء والأعيان ذوي النفوذ كالداي والباي والقضاة المفتين، حيث يجتمع عندهم العلماء فيسرعون في قراءة كتاب مما يساهم في إثراء النشاط العلمي[3].

1- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص ص 302،303.

2- نفسه ص ص 299، 300.

3- ابن ميمون، المصدر السابق، ص 59، 60.

عـرف عـن الحكـام العثمـانيين عمومـا عـدم اهتمـامهم بالجانـب التعليمـي والثقـافي، وهـذا راجـع إلـى انشـغالهم بالشـؤون السياسـية والعسـكرية وجمـع الضـرائب، وتوطيـد وجـودهم فـي الجزائـر كـل هـذا أدى إلـى تراجـع وضـعف المسـتوى الثقـافي والتعليمـي بسـبب نقـص المؤسسـات التعليميـة، غيـر أن السـلطة لـم تمنـع رجـال الـدين والعلمـاء مـن الاهتمـام بهـذا الجانـب، بـل ونجـد بعـض الحكـام الـذين عـرف عـنهم الإصـلاح كصـالح بـاي الـذي سـاهم فـي بنـاء المسـاجد والزوايـا والمـدارس التـي خصـص لهـا أوقافـا، ووضـع لهـا نظامـا داخليـا خاصـا ومحكمـا، هـذه المؤسسـات كان لها الفضل في تخريج نخبة من العلماء سنتطرق اليهم في الفصل الموالي.

الفصل الثالث:

النشاط التعليمي والثقافي في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني

1- دور الحكام في دعم النشاط الثقافي.

2- دور الوقف في الحياة الثقافية.

3- العلماء وإنتاجهم الثقافي.

4- التصوف والحياة الثقافية.

لقد انصب اهتمام العثمانيين على الجانب العسكري أكثر من الجانب الثقافي والاجتماعي، حيث لم تكن لهم سياسة محكمة أو خطة لتشجيع وتوجيه الحياة الثقافية والعلمية، الأمر الذي جعل الأهالي الجزائريين يتحملون عبء ذلك وحدهم إلا أن ذلك لم يساير تطورات العصر آنذاك فلم يلق الدعم اللازم من الدولة العثمانية التي سعت إلى تعزيز وتقوية الجيش.

وعليه فإن الوضع الثقافي في الجزائر أثناء العهد العثماني تميز بنوع من الركود غير أن هذا الحكم لم ينطبق على كل رجالات الدولة، وإنما هناك مجموعة من الحكام كان لهم دور فعال في تنشيط الحركة التعليمية، والثقافية وبناء العديد من حواضر العلم في الجزائر العثمانية.

1- دور الحكام في دعم النشاط الثقافي:

إن من مميزات العهد العثماني هو بروز بعض الحكام الذين كانت لهم إسهامات في تشجيع، وبناء المساجد والزوايا والمدارس، وأوقفوا عليها أملاكهم وذلك من منطلق العقيدة الإسلامية بهدف التقرب من العلماء، وخلق إطار للتواصل مع الأهالي عن طريق السلطة الروحية.

إن بناء المؤسسات التعليمية كان من بين معالم الحكام والجنود والكراغلة[1]، فقد سعوا إلى تأمين مواردها لصيانتها ودوام سيرورتها، وبالتالي تأدية وظائفها التعليمية والدينية[2].

1- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 192.

2- حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008 ، ص 198.

وهكذا فلا نكاد نجد حاكما بقي مدة طويلة في الحكم إلا وبنى مسجدا أو زاوية أو كتابا، وحبس لها وقفا، وهذا يخالف ما قيل عن العثمانيين بأنهم لم يهتموا بالجانب الديني[1].

وفيما يخص بايلك قسنطينة اشتهر بحكام خصصوا من وقتهم للعناية بالوقف وتنظيمه والاهتمام بالقضايا الدينية والعلمية أشهرهم صالح باي، (1771- 1792م) الذي دفعه إخلاصه إلى مواجهة مصاريف الإنشاء العمومية بأمواله الخاصة[2]، وقد قال عنه العنتري: " أتقن بنيانها فكان فيها منفعة للعباد ومصلحة، وحصنا للبلاد وأسس المساجد، وأجرى للضعفاء والقليلين الصدقات فبذلك كانت أحواله في غاية الاستقامة والرعية طائعة إليهم ومنقادة..."[3].

لقد عرفت الحياة الفكرية ازدهارا في عهده خاصة بقسنطينة، ويرجع هذا إلى تشجيعه للعلم والعلماء[4]، إذ قام بإنشاء العديد من المؤسسات التعليمية من مساجد ومدارس في قسنطينة من أجل دراسة مختلف العلوم من نحو، وفقه، وتوحيد وتفسير للقرآن، فقد أنشئ بمدينة قسنطينة مدرسة سيدي لخضر قرب المسجد المسمى بهذا الاسم، كما قام بتشييد مدرسة الكتاني عام 1190هـ/ 1776م هي الأخرى أنشئت لتعليم مختلف العلوم[5]، ولقد أنفق صالح باي أموالا طائلة على هذه المدرسة، حيث يذكر أبو القاسم سعد الله أن المدرس بها، يأخذ ثلاثين ريالا والطالب الداخلي يأخذ ستة ريالات، وعددهم ثمانية

1- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ص 233.

2- قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة في عهد صالح باي، ص 5.

3- ابن العنتري، فريدة منسية، ص62.

4- بن عتو بلبروات: الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري 1779-1797، سلسلة دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، كوكب العلوم، ص 425.

5- عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص 219.

طلاب، كما عرفت المدرسة في عهده نظاما داخليا دقيقا فقد أشاد بعضهم، بأن نظام هذه المدرسة يشبه مدارس فرنسا العليا المعاصرة لها.

وعليه فإن النظام المنتهج في عهد صالح باي على مستوى المؤسسات التعليمية كان له دور فعال في الحياة التعليمية في الجزائر حتى في العهد الفرنسي[1]، والجدير بالذكر أن صالح باي قد أوقف في قسنطينة عدد من الكتب على مدرسته، كما عرف بتشجيعه لحركة التأليف، والنسخ بل تعداه إلى شراء الكتب الموقوفة من أصحابها، إذ وجد العديد من الكتب كانت عليها عبارات ختمه[2].

فكان صالح باي يهدف من خلال هذه الإسهامات إلى نشر التعليم بين الناس، وإعداد علماء أكفاء لتولي أمور الدين والحركة التعليمية هذا ما ساعده على البقاء في الحكم ولمدة طويلة نتيجة تعامله مع الأسر النافذة لبايلكه[3].

ومن أسماء البايات المعروفة التي خدمت الوقف في قسنطينة أواخر العهد العثماني حسن باي (1156/ 1794)، المعروف بوحنك الذي أنشأ الجامع الأخضر وأوقف عليه عدة أوقاف، وكذلك رضوان خوجة الذي أسس هو الآخر زاوية في قسنطينة وأحبس لها أراضي هامة، ويقال أن ذلك جاء نتيجة لورعه وتقواه وحبه للدين وقضايا المسلمين[4].

غير أن هناك عدد من الولاة كان يرى أن الوقف ليس موردا هاما لرعاية التعليم ودعمه بل كان أيضا وسيلة لتأكيد نفوذهم، واستمرار حكمهم وتقوية مكانتهم فالباي حسن بن صالح عام 1221هـ/ 1807م عندما خرج في إحدى حملاته العسكرية أخذ على نفسه نذرا يتعهد فيه ببناء دار للولي سيدي سعيد والولي سيدي علي العريان وإصلاح مسجده وتحسين أوقاف الطلبة وعابري السبيل، وذلك لكسب تأييد رجال الدين والأهالي

1- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ص 284.

2- نفسه، ص 298.

3- سعيدوني ناصر الدين: النظام المالي في الجزائر في الفترة العثمانية (1792- 1830)، ط3، البصائر للنشر والتوزيع، كندا، 2012، ص 135.

4- مريوش أحمد، المرجع السابق، ص 162.

لمساندته في حملاته العسكرية على الهجمات الشرقية لبايلك قسنطينة، وبهذا كان الوقف خير وسيلة لتعزيز الرابطة الروحية مع السكان خاصة مع فئة العلماء والمرابطين حتى لا تؤثر عليهم الحركات المعادية[1].

هذا ما ساعد على انتشار العلم والمعرفة في أوساط الأهالي، وفي هذا الجانب قال بعض الفرنسيين "بأن الأمية تكاد تكون منعدمة في الجزائر فكل الناس تقريبا يعرفون القراءة"[2].

من جهة أخرى كان الوقف يعتبر وسيلة فعالة في الحفاظ على الثروات والأملاك، إذ تتمتع بحصانة قوية لا يستطيع الحكام مهما كانت رتبهم المساس بها، نظرا للأحكام الشرعية الصحيحة في شأنها[3]، ومن جهة أخرى أن العثمانيين لم يكونوا حاملي مشروع ثقافي، ولم يقدموا للجانب العلمي الأهمية اللازمة، إلا أنهم لم يشكلوا في نفس الوقت عائقا في وجه استمرار الحياة العلمية، إلا أنها سمحت بالانفراج في تبادل الأساتذة مع الدول الأخرى فقد سمحت لعلماء غير جزائريين بالاستيطان بالجزائر والتدريس والتوظيف فيها، في الوقت ذاته سمحت لعلماء الجزائر طلب العلم بالمعاهد الإسلامية خارج الجزائر وحتى مع الدول التي كانت بينها وبينهم توترات سياسية كالمغرب مثلا[4].

وعلى هذا الأساس فان الحياة الفكرية في الجزائر خلال العهد العثماني لم تكن مهمشة، فقد برز علماء أجلاء في الدين استطاعوا أن يحتلوا مكانة مرموقة.

1- سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي في الجزائر في الفترة العثمانية، ص 135.

2- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ص 319.

3- عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ، ج2، ص 137.

4- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص ص321،320.

2- الوقف:

يعتبر الوقف من أهم مظاهر الحضارة العربية الإسلامية التي تميز بها العهد العثماني في الجزائر، حيث يعبر عن إرادة الخير في الإنسان المسلم وكذلك تضامنه مع المجتمع الإسلامي.

لقد عرفت الجزائر انتشارا للوقف قبل مجيء العثمانيين، إلا أن هذه الظاهرة الحضارية شهدت تطورا بالجزائر خلال العهد العثماني لاعتبارات سياسية واقتصادية، وقد كان الوقف يقوم على مبدأ شرعي وعلى صفة قضائية ملزمة، وللوقف كذلك صيغة شرعية يستند عليها ويلتزم باحترامها الواقف وأهله المستفيدون منه وهذه الوثيقة إذ لم تكن محل احترام ويسيء الوكيل التصرف في الوقف، تتدخل الدولة فتحول فوائدها إليها[1].

- **دور الوقف في الحياة الثقافية:**

اكتسبت هذه المؤسسة (الوقف) مكانة مرموقة من خلال تأثيرها المباشر على مختلف أوجه الحياة عامة والثقافية خاصة، حيث يكمن مردودها بالتكفل بسد حاجيات الطلاب والاهتمام بشؤون القائمين على التعليم من أئمة وفقهاء، كما أن الأوقاف ارتكزت في المدن قرب المناطق التي يدين سكانها بالولاء للزوايا والطرق الصوفية، وأغلبها وقف أهلي لأن هذا الأخير كان وسيلة للأهالي للحد من ظلم الحكام وأطماعهم ، حيث يهدف للحفاظ على الممتلكات وصيانتها دون ضياعها أو مصادرتها جراء التغريم[2].

وقد شهدت الأوقاف في مدينة قسنطينة إهمالا كبيرا بسبب تقصير الوكلاء، وسوء تسييرهم وحتى استغلالها لخدمة مصالحهم الشخصية الضيقة[3]، وهذا ما جاء ذكره في احدى وثائق الوقف المؤرخة في العقد الثاني من شهر ربيع الأول سنة1190 هـ/الموافق للفاتح أفريل 1776م :(الحمد لله ولما وقع التقصير من وكلاء مساجد قسنطينة ولم يكن

1- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص ص 227،228.

2- سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي في الجزائر في الفترة العثمانية، ص ص133-135.

3- فايست أوجين، المصدر السابق، ص53.

لهم اعتناء بشأن الأوقاف وفرطوا في ذلك غاية التفريط وضاع الكثير منها ...)[1] مما أدى إلى تراجع العلم فيها إلى غاية حكم صالح باي الذي عمل على تنظيم الأوقاف بإجراء إصلاحات شاملة ودقيقة لكل ما يتصل بها، فقد وضع لذلك سجلات يشرف عليها القضاة والمفتون، وأمرهم أن يبحثوا، بالإضافة إلى ذلك عن الأوقاف سواء التي انقرضت أو التي ما زالت ولكن في حالة سيئة ، كما قرر محاسبة الوكلاء في كل ستة أشهر وعهد إلى المجلس العلمي المكون من العلماء، وصاحب بيت المال، بالنظر في شؤون الأوقاف وفائضها في كل سنة[2]. وهذا ما تم ذكره في وثيقة الوقف السابقة الذكر(...وذلك لحضرة المعظم الأسعد المنصور ...سيدنا صالح باي أيده الله تعالى...فألهمه الله إلى إحياء ما اندرس من المساجد والأوقاف... أمر حينئذ قضاته أو المفتين أن يبحثوا على أوقاف المساجد...)[3]، كما أجرى معاملات كثيرة بين شراء ومعاوضة مع أعيان المدينة وملاكها من المسلمين واليهود، وقام ببعض المعاوضات بين أملاك موقوفة على المساجد، كما حرص أن تكون الفائدة لصالح الجامع أو المسجد على حساب المعاوض وهذا يبين مكانة الوقف في عهده[4].(الصورتين رقم:13-14).

وكانت أملاك الأوقاف تتمتع بحصانة قوية بحيث لا يستطيع الحكام مهما كانت رتبتهم المساس بها، وبفضل أموال الأوقاف على المدارس والزوايا في المدن والأرياف انتشر التعليم في مختلف أنحاء الجزائر بحيث كان معظم الجزائريين يحسنون القراءة والكتابة، وهذا ما شهد عليه الفرنسيون عند احتلالهم الجزائر[5]، وللوقف أغراض أخرى نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1- سعيدوني ناصرالدين، ورقات جزائرية، ص ص 248،249.

2- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص ص 228،229.

3 - سعيدوني ناصرالدين، ورقات جزائرية، ص 249.

4- سعيدوني ناصر الدين: الوقف في الجزائر خلال القرنين 18 و19، جمع .تح، سعيدوني ناصر الدين، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر.29 ماي2001، ص 86.

5- عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر،ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع ، 2002، ص 109

- العناية بالعلم والعلماء، الفقراء، المساكين، والأرامل واليتامى حيث كان بعين مدخول لتموين المساجد والزوايا والكتاتيب والأضرحة، وقد عرف العديد من الشخصيات الدينية والسياسية من العثمانيين أنهم خصصوا مداخيل الأوقاف لخدمة المساجد وكذلك عرفت فئة النساء في المجتمع هذا النظام.
- الإنفاق على رجال العلم والمدرسين والطلبة بإعانتهم على مواصلة دراستهم بالجامعات الإسلامية كالزيتونة والقيروان .
- العمل على تماسك الأسرة الجزائرية وحفظ حقوق الورثة.
- التأثير الديني والسياسي خارج الحدود كإرسال النقود سنويا إلى فقراء مكة والمدينة مع ركب الحج[1].

رغم أن العثمانيين لم يأتوا بمشروع ثقافي إلا أن بعض الحكام كانوا يحترمون العلماء ويوقفون الأوقاف لصالح العلم ومختلف المؤسسات الثقافية ويبرز تدخلهم في تنظيم هذه العملية والقائمين عليها عن طريق تسييرها والاهتمام بها.

كانت قسنطينة من بين أهم الحواضر العلمية بشرق المغرب الأوسط، وقد برز فيها عدد كبير من العلماء، واحتفظت خلال العهد العثماني بمكانتها كعاصمة لأكبر إقليم في الجزائر وأغناه ثقافة وتحضرا[2] .

وكان مجتمع قسنطينة مجتمعا حضاريا متماسكا، وكان العلماء يلعبون فيه دورا فعالا فهم ينظمون العلاقات العامة[3]، واشتهرت قسنطينة بالعديد من العلماء.

1- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص ص 230-232.

2- سعد الله أبو القاسم، مقدمة تحقيقية لمنشور الهداية، ص 8.

3- سعد الله أبو القاسم، شيخ الإسلام، ص22.

3- العلماء وإنتاجهم الثقافي:

❖ الشيخ عمر الوزان:

هو عمر بن محمد الكماد الأنصاري القسنطيني، أبو بكر ويقال أبو حفص، المعروف بالوزان[1] ، يقول ابن شغيب هو أبو حفص عمر بن عبد الخالق الوزان، نسبة إلى واد الزان ببلد المغرب الأقصى، وربما كان لفظ –وزان– مشتقا من الوزن ومعناه القائم بالحق بين الناس وإعطاء الميزان حقه لاشتغال سلفه بالتجارة[2]، وهو فقيه أصولي صوفي[3].

اختلفت الآراء في تاريخ ولادته، وهل ولد بقسنطينة أم لا، وانتقل صغيرا مع والده توفي يوم الربعاء20 شعبان 965هـ الموافق لـ يوم 8 جوان 1558م[4].

كان والده الشيخ محمد الوزان أمين أموال الضرائب المقبوضة على البضائع الداخلة إلى سوق قسنطينة، كما كانت دارهم محل نزول أمير ركب الحجيج المغاربة السنوي[5].

أشاد به بن الفكون في منشور الهداية قائلا:" هو شيخ الزمان وياقوتة العصر والأوان العلم العارف بالله الرباني...كان بحرا لا يجارى في العلوم فقها و أصولا ونحوا وحديثا..."[6]. كان الوزان متمسكا بمهنة التدريس، متباعدا عن الأمراء والوظائف السلطانية

1- نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، ، بيروت لبنان، 1980، ص342.

2- شغيب محمد المهدي بن علي، المصدر السابق، ص140.

3- نويهض عادل، المرجع السابق، ص342.

4- شغيب محمد المهدي بن علي، المصدر السابق، ص140.

5- الحسني عبد المنعم القاسمي: أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار خليل القاسمي، الجزائر، 1427هـ، ص256.

6- الفكون عبد الكريم: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تق. تح. تعل. أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1987، ص35.

حتى أنه اعتذر عن قبول وظيفة القضاء حين عرضت عليه[1]، كما أن الوزان يعد قمة في العلوم العقلية والنقلية واعتبر من الصالحين الورعين، كان يدرس العلوم والبيان والأصول، كما يعتبر من رجال التصوف في عصره وهو ما علق عليه الفكون بقوله:" وله طريق القوم اليد الطولى، ويقال أنه دعوة الشيخ الصالح القطب أبي العباس أحمد زروق الفاسي"[2].

عرف هذا العصر بانتشار الطريقة الزروقية وانتسب لها من علماء القرن العاشر السادس عاشر الشيخ أحمد بن يوسف الملياني.

كما يتناول ابن الفكون معلومة مهمة عن أبي العباس زروق توضح لنا العلاقة بين قسنطينة وفاس خلال عصره، حيث كانت قوافل التجارة تنشط بين الحاضرتين وهو ما يؤكده بقوله:" أن الشيخ المذكور أبا العباس رضي الله عنه كان متردد السفر من المغرب إلى قسنطينة ويأتي معه قفل التجار ".

كما يوضح أيضا أن أب العالم الوزان كان من رجال الجمارك، حيث كان يقوم بجمع الضرائب من القوافل القادمة والخارجة من قسنطينة وهو ما يتأكد من قوله:" كان والد الشيخ أبي حفص بالباب على الخارج والداخل، وكان يحسن إلى الشيخ أبي العباس ويبره ويسقط عليه ما يترتب على دخول الباب من عادة الأمراء "[3].

فظاهرة إعفاء العلماء التجار من دفع الضرائب كانت مألوفة في العصور الوسطى والحديثة، وتكرر مرارا في تراجم هؤلاء العلماء.

لم يعرف ابن الفكون تاريخ مولد هذا الشيخ بل اكتفى بالوليمة التي أقامها أبوه عليه أثناء مولده ودعوة زروق له.

1- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص382.

2- الفكون عبد الكريم، المصدر السابق، ص36.

3- نفسه، ص ص 35، 36.

يوضح لنا كذلك إقامته بالجامع الأعظم بقسنطينة، وهو الجامع الذي يرجع لعهد الدولة الموحدية والذي لا يزال قائما لحد الآن.

كما يعرفنا بخزانة الكتب بالجامع فيقول:" كان ذات يوم يقرأ على عادته بالجامع الأعظم الأقدم من بلدة قسنطينة بين خزانتي الكتب اللتين بباب البهو من أبواب الجامع المذكور "[1].

توفي الشيخ المذكور سنة خمس وستين وتسعمائة، ودفن بمدرسة ابن آفوناس، وهي التي على يمين المار لباب الوادي من المدينة المذكورة، وقبره يسار الداخل لبيت صلاتها مما يلي القبلة [2].

فمن خلال هذا نلاحظ أن ابن الفكون لم يكتف بذكر مكان الدفن بل حدد لنا بالتفصيل مكان القبر.

وله عدة مؤلفات نذكر منها: الرد على المرابط عرفة القيرواني وصحبه، طريق الطوالع والمواقف سماه البضاعة المزجاة في غاية التحقيق والإيضاح، فتاوى في الفقه والكلام، وكتاب العليق على قول خليل[3].

❖ **محمد العطار**

هو أبو عبد الله محمد العطار، من علماء المعقول والمنقول، وقد وصفه الحفناوي في كتابه "تعريف الخلف برجال السلف" بأنه:" وقاد القريحة بديه الإدراك، واسع الفكر عريض الفهم والإدراك"[4]، وكان مدرسا في مدينة قسنطينة، كما أنه كان رجل تجارة، يذكره ابن الفكون قائلا: (...وكان ذا مال وتجارة خرج بسببها مرة لبلد تونس دار الإمارة إذ ذاك، فجلس في حلقة إمام جامعها الأعظم ومفتيها...فأجاب الشيخ العطار عن المسألة

1- الفكون عبد الكريم، المصدر السابق، ص36.

2- نفسه ، ص37.

3- الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص 76.

4- الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص 72.

بتلطف، فالتفت له الشيخ الإمام ورحب به وأكرمه وأتحفه بالجلوس معه في الحلقة، وقال له: مثلك إنما يجلس هنا ...)[1].

يظهر من نص ابن الفكون العلاقة التجارية بين مدينة قسنطينة وتونس حيث أنها كانت نشطة، لأن قسنطينة في عصر الدولة الحفصية كانت من بين أهم حواضرها وكان علماؤها يساهمون في النشاط التجاري بها، كما نفهم من النص أن الإمام عندما أدرك ما للعطار من علم قربه إليه وأنزله مكانته من باب احترام العلماء وتقديرهم رغم أنه ليس من بلده. توفي الشيخ سنة (943هـ/1536م)[2].

له عديد المؤلفات من بينها: تاريخ بلد قسنطينة، سلم الوصول في الصلاة على الرسول، وقصيدة في مدح النبي صل الله عليه وسلم، حاشية على منظومة الجوهر المكنون في الثلاثة الفنون" المعاني والبيان والبديع للأخضري "، سلسلة عن طريقة الشيخ الزواوي سماها " نصيحة الإخوان في أصول التربية وآداب السلوك في الطريقة الحنصالية الشاذلية"[3].

❖ صالح العنتري:

هو صالح بن أحمد العنتري ولد بقسنطينة في أوائل القرن التاسع عشر ما بين سنة 1205هـ/1790م أو 1215هـ/1800م، توفي بها سنة 1293هـ/1876م[4]، ونسب إلى عائلة عريقة اشتهرت بالاشتغال في وظائف الكتابة والمهام الإدارية، فأبوه محمد كان كاتب لدى الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة[5]، اشتغل صالح العنتري بوظيفة الكتابة بالمكتب العربي الذي أنشأ بقسنطينة[6].

1- الفكون عبد الكريم، المصدر السابق، ص38.

2- نفسه، ص40.

3- شغيب محمد المهدي بن علي، المصدر السابق، ص 275.

4- سعودي يمينة، المرجع السابق، ص 99.

5- العنتري صالح، مجاعات قسنطينة، ص 6.

6- نويهض عادل، المرجع السابق، ص 246.

تلقى تعليمه بقسنطينة على يد شيوخ أجلاء أشهرهم "أحمد العباسي، علي التونسي، عمار المغربي، محمد عبد الرحمان باش تارزي"، وأظهر منذ صغره ولعه بالأخبار والتواريخ، وميلا إلى العمل الإداري، اشتغل بالتدريس ثم تولى القضاء بقسنطينة[1].

اشتهر صالح العنتري بكتابين ألفهما أثناء قيامه بوظيفته بقسنطينة أولهما: "الأخبار المبينة المذكورة في تاريخ قسنطينة سنة 1846" الذي عرف بعدة عناوين أخرى منها: "كتاب الأخبار في تاريخ قسنطينة، فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها"، أما الكتاب الثاني "سنين القحط والمسغبة" الذي تناول فيه الحالة الاجتماعية والاقتصادية لقسنطينة في فترة المجاعة[2].

❖ **عبد القادر الراشدي:**

هو عبد القادر بن محمد الراشدي، فقيه مالكي وقاضي أصله من الرواشد[3]، قال عنه الحفناوي:" المحقق المجتهد الأصولي الكلامي قرأ في وقته وعضد زمانه، نسبة للرواشد مدشر من مداشر فرجيوة غرب قسنطينة، تولى أوائل العشرة الثانية من القرن الثاني عشر للهجرة وهي تابعة حاليا إلى ميلة"[4].

ولد حوالي (1118هـ/1704م) وتوفي(1194هـ/1780م)[5].

تولى الراشدي القضاء والفتوى في مدينة قسنطينة، ودرس بجامع سيدي الكتاني ومدرسته، ودرس العلوم الشرعية وغيرها، كان له بعض المؤلفات خاصة التفسير، ولكن ليس من المعروف إذا كانت هذه التفاسير قد جمعت في كتاب واحد، فهو لم يتناوله بصورة منتظمة وإنما جاء تناوله في مناسبات معينة. ونتيجة لآرائه وفتاويه واجه بعض

1- سعودي يمينة، المرجع السابق، ص 99.

2- العنتري صالح، مجاعات قسنطينة، ص 6.

3- نويهض عادل، المرجع السابق، ص 145.

4- الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص 212.

5- مجموعة من الأساتذة: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، إشراف رابح خدوسي، منشورات الحضارة، ج2، ص 45.

التحديات مما أدى ببعض العلماء إلى الحكم عليه بالزندقة والكفر، ولولا صالح باي لفتكوا به[1].

كان له العديد من المؤلفات في العديد من الفنون وهذا بسبب توسع ثقافته نذكر منها:

- حاشية على شرح السيد للمواقف العضدية.
- مباحث الاجتهاد، شرح فيه المسائل الأصولية والكمالية.
- تحفة الإخوان في تحريم الدخان، تناول فيه أسباب تحريم الدخان وأضراره[2].
- رسالة في وزن الأعمال.
- كتاب في عائلات قسنطينة وقبائلها وعربها وبربرها[3].
- مفاد التحصيل لإعداد السبيل، وضعه ردا على مخالفيه في قضية التأويل.
- رسالة التوحيد .
- تجديد الإيمان في أواخر الزمان.

بالإضافة إلى بعض القصائد منها: قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وقصيدة في مدح شيخه أبي العباس المكودي[4].

❖ ابن قنفذ القسنطيني:

هو أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب، كان يكنى أبو العباس واشتهر بابن قنفذ القسنطيني نسبة إلى مدينة قسنطينة ، ولد حوالي سنة 740هـ/1340م، في عائلة علم وصلاح حيث كان أبوه وجده من خطباء المدينة[5]، درس على يد والده وجده لأمه، حيث أن والده كان أديبا ذاع صيته بين علماء عصره، وكان ذو نزعة صوفية، قام ابن قنفذ برحلات نحو البلاد العربية من أجل زيادة تحصيله العلمي، ومن بين هذه البلدان التي

1- سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي1500-1830، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ج2، ص 14.
2- ابن ميمون، المصدر السابق، ص 78.
3- نويهض عادل، المرجع السابق، ص 146.
4- مجموعة من الأساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج2، ص 46.
5- الخطيب أبو العباس أحمد بن حسن بن علي: الوفيات، ط 4، دار الآفاق الجديدة، لبنان، 1983، ص 6.

زارها المغرب وقد أخذ عن كثير من العلماء والفقهاء بها[1] ، نذكر منهم:" ابن مرزوق التلمساني، أبو محمد عبد الله الوانغيلي الفاسي، أبو العباس بن قاسم القباب الفاسي"[2]، وقد مكث بالمغرب حوالي اثني عشر عاما، كانت هذه الفترة الطويلة كلها مليئة بالنشاط العلمي، فهو لم يكتف بالعلوم العقلية والنقلية من فقه، وحديث، وتاريخ ورياضيات وفلك فنجد أنه تعمق في التصوف أيضا، وبحث عن رجاله والتقى بهم وزار أضرحة الأولياء الصالحين، وأسند إليه في هذه الفترة وظيفة القضاء وعمره حوالي 29 سنة، كان يعقد في كل سنة مؤتمرا صوفيا يحضره كل المنتمين لهذا العلم، كما زار الكثير من المناطق بالمغرب والتقى بالعالم الشهير أبى العباس أحمد بن عاشر وتتلمذ على يديه[3].

رجع ابن قنفذ إلى قسنطينة بعد كل هذه الأعمال التي قام بها في رحلته إلى المغرب سنة 776هـ، بسبب تدهور الأوضاع هناك نتيجة الجوع ، لكنه لم يمكث طويلا في قسنطينة، وقام برحلة أخرى نحو تونس والتقى هناك بشيوخها وأخذ عنهم، فقد قرأ على أبي محمد بن عرفة الورغمي "المختصر" وأجازه في جامع الزيتونة، ثم عاد إلى قسنطينة وتولى القضاء والإفتاء والخطبة، اشتغل بالتدريس إلى أن وافته المنية سنة 809هـ/ 1509م[4].

له العديد من المؤلفات في فنون متعددة نذكر منها:

- الوفيات.
- أنيس الفقير وعز الحقير.
- تحفة الوارد في اختصاص الشرف من قبل الوالد.
- شرح المنظومة المسماة "القصيدة الغزلية في ألقاب الحديث" لأبي الفرج الإشبيلي.

1- نويهض عادل، المرجع السابق، ص 268.

2- الخطيب أبو العباس، الوفيات، ص ص 7-13.

3- الخطيب أبو العباس أحمد بن حسن بن علي: أنس الفقير وعز الحقير، نشر. تص، محمد الفاسي و أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، الرباط، 1965، ص ص 5،6.

4- الخطيب أبو العباس، الوفيات، ص ص 11،12.

- شرح منظومة ابن أبي الرجال .
- شرح الأرجوزة التلمسانية في الفرائض.
- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية.
- تسهيل المطالب في تعديل الكواكب.
- تحصيل المناقب وتكميل المآرب[1].

❖ **عبد الكريم الفكون:**

هو أبو محمد عبد الكريم بن محمد بن يحي الفكون، علامة الزمان ورئيس علوم اللسان، وفخر المنابر إذا خطب، ولسان المخابر إذا شعر أو كتب، واحد من كبار رجالات الطريقة الشاذلية بالجزائر[2]، فهو أديب، نحوي، محدث، جمع بين علمي الظاهر والباطن، كان عالم المغرب الأوسط في عصره، قال عنه العياشي في رحلته:" كان في غاية الانقباض والانزواء عن الخلق، ومجانبة علوم أهل الرسوم بعدما كان إماما يقتدى به فيها"[3] ، ولد سنة(988هـ/1580م)، وسمي على جده لأنه ولد على إثر وفاته، ويقول الفكون أنه عندما كانت والدته حاملا به سألت جده الدعاء فقال لها:" جعل الله عمارة الدار منك"[4].

بدأ رحلة طلب العلم على يد والده في زاوية العائلة، وتربى على الثروة والجاه، حفظ القرآن الكريم الذي كان قاعدة التعلم في المغرب الإسلامي آنذاك، وقرأ عن خاله أبي القاسم بن عيسى الملقب بثلجون وهو من قبائل زواوة. ولقد نشأ عصامي في تعلمه لأنه لم يقصد أي مكان لطلب العلم في صغره غير قسنطينة، وذلك أنه في عهده قلت الرحلات العلمية بين مدينتي قسنطينة وتونس، وتوطد الانفصال السياسي

1- نويهض عادل، المرجع السابق، ص ص 269،270.
2- القاسمي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 214.
3- نويهض عادل، المرجع السابق، ص 254.
4- سعد الله أبو القاسم، شيخ الإسلام ، ص ص 57،58.

بينهما وتقلصت إلى حد كبير المبادلات التجارية ، ومن الذين نهل من علمهم في قسنطينة نذكر منهم :" محمد التواتي المغربي، محمد الفاسي، الشيخ أبو الربيع سليمان بن أحمد القشي من بلدة نقاوس"[1].

اكتسب ثقافة متينة واطلاعا واسعا، تولى التدريس بزاويتهم بقسنطينة والتف حوله الطلبة والعلماء، وأسندت له الإمامة والخطابة بالجامع الكبير خلفا لوالده واعتبر شيخ الإسلام، وكان له العديد من المراسلات مع علماء عصره ومن ذلك مراسلته مع سعيد قدورة وأحمد الغرياني التونسي[2].

لقد خلف الفكون مجموعة من الكتب التي كان يطلق عليها اسم تقاييد أو رسائل وكما يبدو أن هذه التآليف ألفها قبل توليه وظائف أبيه، كانت مواضيعها متنوعة ونذكر منها:

- منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية.
- محدد السنان في نحور إخوان الدخان (مخطوط).
- ديوان شعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.
- شافية الأمراض لمن التجأ إلى الله بلا اعتراض.
- مجموعة خطب.
- تقييد ذكر فيه مرضه سنة 1025هـ-1028هـ، وقد أشار إليه في كتابه منشور الهداية.
- نظم الدرر على شرح المختصر الذي وضعه على مختصر الشيخ عبد الرحمان الأخضري.
- شرح مخارج الحروف من الشاطبية في القراءات.

1- بوخلوة حسين: الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني وإنتاجه الفكري، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تيارت، ع9، جوان 2016، ص ص 63-65.

2- القاسمي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 215.

- فتح اللطيف في شرح أرجوزة المكودي في التصريف[1].
- فتح الهادي في شرح المجرادي.
- شرح شواهد الشريف على الأجرومية.
- سربال الردة في من جعل السبعين لرواة الإقراء عدة.
- سلاح الذليل في دفع الباغي المستطيل[2]

ومن هنا نستنتج أن لعلماء مدينة قسنطينة إسهامات كبيرة في إثراء الثقافة في شتى العلوم وذلك بما قدموه من مؤلفات في مختلف الفنون، العقلية والنقلية والتي تعتبر إرث حضاري وثقافي يعبر عن ثقافة المجتمع القسنطيني التي ورثها عبر العصور، واهتمامهم الكبير بمختلف العلوم وتدوينها على شكل كتب ومخطوطات يعتمد عليها الطلبة لإثراء الرصيد المعرفي.

4- التصوف:

التصوف هو نزعة روحية تميل بالإنسان عن العالم المادي، وتترفع به إلى العالم الروحي، وهو بهذا المفهوم ظاهرة إنسانية تنشأ في كل بيئة دينية[3]، كما أنه ترك للدنيا وملذاتها والتفرغ للعبادة[4].

- **التصوف والحياة الثقافية:**

لم يقتصر تأثير التصوف في الجزائر خلال العهد العثماني على الجانبين السياسي والاجتماعي فقط، بل تعدى إلى الجانب الثقافي والديني، إذ أن الدور الأساسي الذي

1- سعد الله أبو القاسم، شيخ الإسلام ، ص ص 146-152.

2- بوخلوة حسين، الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني وإنتاجه الفكري، ص 74.

3- الهجويري أبو الحسن علي بن عثمان الغزنوي: كشف المحجوب، تر. إسعاد عبد الهادي قنديل، المجلس الأعلى للثقافة، 2007، ج1، ص 27.

4- الحنفي عبد المنعم: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط1، دار الرشاد، القاهرة، 1993، ص 280.

وجدت من أجله الزوايا والطرق الصوفية هو نشر تعاليم الدين الإسلامي[1]، حيث أن الحياة الثقافية والفكرية في العهد العثماني كانت تتميز بالركود وذلك راجع لاهتمام العثمانيين بالجانب العسكري وتعبئة الجيوش وبناء الأساطيل، فلم يقوموا بتطوير الأساليب العلمية التي وجدوها، وقد حفل هذا العصر بشيوع التصوف الذي حظي بدعم رسمي من طرف السلطة العثمانية، وهو ما ساهم في انتشاره، وتأصلت فكرة التصوف في المجتمع، وأخذت الطرق الصوفية في إنشاء مؤسسات لها كالزوايا والأربطة التي كان لها دور في نشر التعليم[2]، كما كانت مراكز علمية لها بالغ الأثر في الحركة العلمية والإشعاعية التي شهدتها الجزائر في هذه الفترة، إذ حافظت الزوايا الصوفية على مقومات الأمة الجزائرية بأبعادها وحاربت الأفكار الخاطئة باستثناء الزوايا البدعية[3]، هذه الأخيرة التي لها تأثير سلبي، ولقد اهتمت الزوايا بتدريس الفقه والتفسير والحديث والنحو والصرف وتأليف الكتب في مختلف التخصصات، ونسخ المخطوطات[4]، كما أنها عملت على توفير ما يلزم الطلبة من العلوم اللغوية، والشرعية والتاريخية والفلسفية[5]، كما وفرت لهم مأوى بدون مقابل[6]، فقسنطينة اشتهرت بالعديد من الزوايا حيث أشار الأستاذ سعد الله بأنها بلغت ستة عشرة زاوية[7]، حيث كانت العائلات المعروفة لها زوايا خاصة بها مثل: زاوية أولاد الفكون

1- عميراوي حميدة: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، 2004، ص 52.

2- ربوح عبد القادر: الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي خلال القرن 11هـ/17م، مجلة البحوث والدراسات،ع1، مج15، 2018، ص 306.

3- العماري الطيب: الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي، مجلة العلوم الاجتماعية، ع15، جوان 2014، ص 130.

4- لعرج شيخ وفغرور دحو: انتشار الطريقة التيجانية في بايلك الغرب أواخر القرن 18م وبداية القرن 19م، مجلة الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية 29، وهران، 2016، ص 619.

5- جاب الله الطيب، المرجع السابق، ص 140.

6- محمدي محمد: المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي، مجلة حوليات التراث، ع 13، 2013، ص 109.

7- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 264.

وزاوية ابن نعمون كذلك زاوية أولاد جلول وزاوية بني مسعود[1]، التي تخرج منها الكثير من العلماء الذين كانت لهم إسهامات علمية كبيرة في شتى المجالات أثرت مكتبات الجزائر وكانت مرجعا للطلبة في التحصيل العلمي داخل الجزائر وخارجها.

إلى جانب التأثير الإيجابي الذي لعبته الطرق الصوفية كان لها تأثير سلبي على الحياة الثقافية والدينية خاصة بعد انحراف التصوف عن النهج الصحيح إلى الدروشة والخرافة، حتى أنه قد شاع بين الفقهاء أنفسهم التعليم البسيط من طرف المتصوفة العوام الذين استمالوا المجتمع بظواهرهم من أجل تقريبهم، فأصبحوا يعتقدون بأن شيوخهم يحملون عنهم تقصيرهم، فكان للصوفية المنحرفة نفوذا كبيرا دفع الأمراء الجائرين إلى خدمتهم، وعلماء السوء إلى تأييدهم[2]، وبهذا انتشرت طقوس مرتبطة بالأضرحة والأولياء حيث يتلمسون منهم البركة من أجل الشفاء والزواج والأولاد والصلاح...[3]، ونذكر عن هذا نموذج لأهل مدينة قسنطينة الذين كانوا يقومون بحفلة هي أقرب إلى الوثنية تسمى "الزيارة" يتجمع فيها الأخلاط من الناس، والمراد منها هنا ما تزعمه النسوة القسنطينيات من مس الجنون لهن، فيلجأن إلى مثل هذه الطقوس لمنعهن من المس وهي عادة شائعة في عهد ابن الموهوب من علماء قسنطينة، حيث أنه إذا كان يوم السبت في أوقات معينة من السنة يقومون بهذا الاحتفال، فيشترين فيه النساء أفئدة الضأن والماعز ويذهبن بها إلى الجبل المسمى "سيدي مسيد"، فيرمين الأفئدة فتأتي النسور وتلتقطها، فيزعمن أن الأولياء الصالحين قد رضوا عنهن[4]، وهذه بعض العادات التي كانت متفشية وسط المجتمع القسنطيني وهذا دليل على التناقض الكبير الذي تعيشه مدينة عريقة.

1- سعد الله أبو القاسم، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، ص37.

2- مرتاض عبد الحكيم: الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني 924هـ-1246هـ/1518م-1830م تأثيراتها الثقافية والسياسية، رسالة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015،2016، ص ص 27،28.

3- نفسه، ص 184.

4- ابن العطار، المصدر السابق، ص ص 41،42.

غير أن هناك من علماء قسنطينة من حارب هذا النوع من التصوف المنحرف، كان أبرزهم الشيخ عبد الكريم الفكون الذي ألف كتابا في ذلك أسماه "منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية" الذي تحدث فيه عن دوافع تأليف هذا الكتاب بقوله:"...فلما رأيت الزمان بأهله تعثر وسفائن النجاة من أمواج البدع تتكسر، وسحائب الجهل قد أظلت، وأسواق العلم قد كسدت فصار الجاهل رئيسا، والعالم في منزلة يدعى من أجلها خسيسا، وصاحب أهل الطريقة قد أصبح وأعلام الزندقة على رأسه لائحة و روايح السلب والطرد من المولى عليه فائحة..."[1].

من خلال ما سبق يمكن القول أن الطرق الصوفية بمؤسساتها وشيوخها ساهمت بقسط وفير من مجهوداتها العلمية وكفاءاتها المختلفة إلى دفع عجلة التعليم والتربية، بتعزيز مبادئ الدين وترسيخ قواعد اللغة العربية، وبهذا سد ذلك الفراغ الذي تركته السلطة في الجانب الثقافي، لكن هناك ممن ادعوا التصوف وساهموا في نشر البدع والخرافات وتعطيل الفكر، ونشر العلم البسيط نظرا لبعدهم عن منهج القرآن الكريم والسنة النبوية.

1- الفكون عبد الكريم، المصدر السابق، ص ص 31،32.

لم يهتم الحكام العثمانيون بالجانب التعليمي والثقافي، وهذا راجع إلى انشغالهم بالشؤون السياسية والعسكرية وجمع الضرائب، وتوطيد وجودهم في الجزائر كل هذا أدى إلى تراجع وضعف المستوى الثقافي، والتعليمي بسبب نقص المؤسسات التعليمية، غير أن السلطة لم تمنع رجال الدين والعلماء من الاهتمام بهذا الجانب، بل ونجد بعض الحكام الذي عرف عنهم الإصلاح، كصالح باي الذي ساهم في بناء المساجد والزوايا والمدارس التي خصص لها أوقافا ووضع لها نظاما داخليا خاصا ومحكما، هذه المؤسسات كان لها الفضل في تخريج نخبة من العلماء كان لهم إنتاج علمي وفير في شتى المجالات، غير أن الجانب الديني طغى على مؤلفاتهم، وهذا راجع إلى انتسابهم إلى الطرق الصوفية وتأثرهم بشيوخها خصوصا أن الجزائر شهدت انتشارا واسعا للتصوف في العهد العثماني.

خاتمة

خاتمة:

لقد توصلنا من خلال دراستنا لموضوع الحياة الثقافية في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني إلى عدة نتائج أهمها:

– أن قسنطينة كانت منذ القديم عاصمة سياسية واقتصادية، احتلت مكانة كبيرة بفضل موقعها الاستراتيجي الذي كان عامل جذب للأمم والشعوب التي توالت على المدينة، بدءا بإنسان ما قبل التاريخ إلى الفترة العثمانية، لذلك أطلق عليها اسم "أم الحواضر في الماضي والحاضر".

– تعد الفترة العثمانية من أزهى الفترات في تاريخ المدينة، فبالرغم من بعض الاضطرابات السياسية إلا أن الحياة الثقافية كانت مزدهرة، إذ شهدت المدينة نهضة علمية وفكرية وأدبية، وكان من مظاهر ذلك انتشار المراكز العلمية والتعليمية من مساجد ومدارس وزوايا وكتاتيب ومكتبات، فقد تداول الطلبة على هذه المؤسسات ونبغ الكثير منهم.

– عدم اهتمام الحكام العثمانيين بالجانب الثقافي والعلمي لاعتبارات عديدة أهمها أن الدولة العثمانية كانت دولة سياسية وعسكرية بالدرجة الأولى، إذ أن المؤسسات الدينية هي من حملت على عاتقها مسؤولية نشر التعليم والمعرفة في قسنطينة وكان لها ودور بارز في ترقية الحياة العلمية والثقافية لبايلك الشرق بصفة عامة.

– التعليم في قسنطينة خلال الفترة المدروسة لم يختلف عن بقية الحواضر الأخرى في الإيالة الجزائرية كتلمسان ومدينة الجزائر، وحتى في حواضر الدول الإسلامية الأخرى كفاس وتونس وهو ما يعكس الهوية الإسلامية المشتركة من خلال آلية التدريس والعلوم المدرسة وكذلك المؤسسات التعليمية، بالرغم من ذلك فإن مناهج التعليم في قسنطينة لم تتعد الطرق التقليدية المعتمدة أساسا على الإملاء والحفظ والنقل. ولم تلتحق بالتطورات العلمية التي عرفتها أوروبا خلال عصر النهضة.

– مساهمة بعض الحكام العثمانيين لبايلك الشرق ودعمهم للجانب العلمي من خلال تشييد المراكز التعليمية وتحبيس أملاكهم الخاصة عليها، إضافة إلى تنظيم الأوقاف والسهر على تسيير مواردها وربط علاقة وطيدة مع الأسر العلمية كصالح باي.

– دعم الوقف لمجال التعليم والذي كان منتشرا (الوقف) حتى قبل العهد الحديث إلا أن العثمانيين اهتموا به وحاولوا تنظيم مصادره، وجعلها في خدمة طلبة العلم والعلماء وتسيير شؤونهم وصيانة وترميم وتشييد المؤسسات التعليمية.

– معرفة المكانة التي يتمتع بها العلماء في قسنطينة ومساهمتهم في إثراء النتاج الفكري والعلمي للمنطقة، إذ أصبحت مقصد طلبة العلم من مختلف الحواضر العلمية الداخلية والخارجية. إضافة إلى تسليط الضوء على أهم العلوم المتناولة والمدرّسة. ومدى مساهمة بايلك الشرق في إثراء المجال الثقافي في العهد العثماني من خلال إنتاج علمائها من مؤلفات وشروح ونوازل فقهية كان لها أثر كبير في إزالة الغموض عن الكثير من المسائل المتعلقة بالمجتمع القسنطيني من أجل المحافظة على هويته الجزائرية الإسلامية.

– أثر التصوف في الحياة الثقافية في قسنطينة والذي عرف انتشارا واسعا في الفترة العثمانية، على الرغم من بعض النتائج السلبية التي تمخضت عن هذه الظاهرة كان أهمها انتشار البدع، والخرافات، ولكن ذلك لم يمنع من نشر العلم والمعرفة خاصة في المناطق النائية.

– بالإضافة إلى ذلك فإن الحياة الثقافية في مدينة قسنطينة لا تزال بالفعل تحتاج إلى دراسات معمقة من خلال تحقيق التراث المخطوط للوصول إلى حقائق تاريخية هامة، والتي لا تزال حبيسة الأرشيف والزوايا والخزائن الخاصة، والتي تحمل في طياتها العديد من العلوم والمعارف النفيسة.

الملاحق

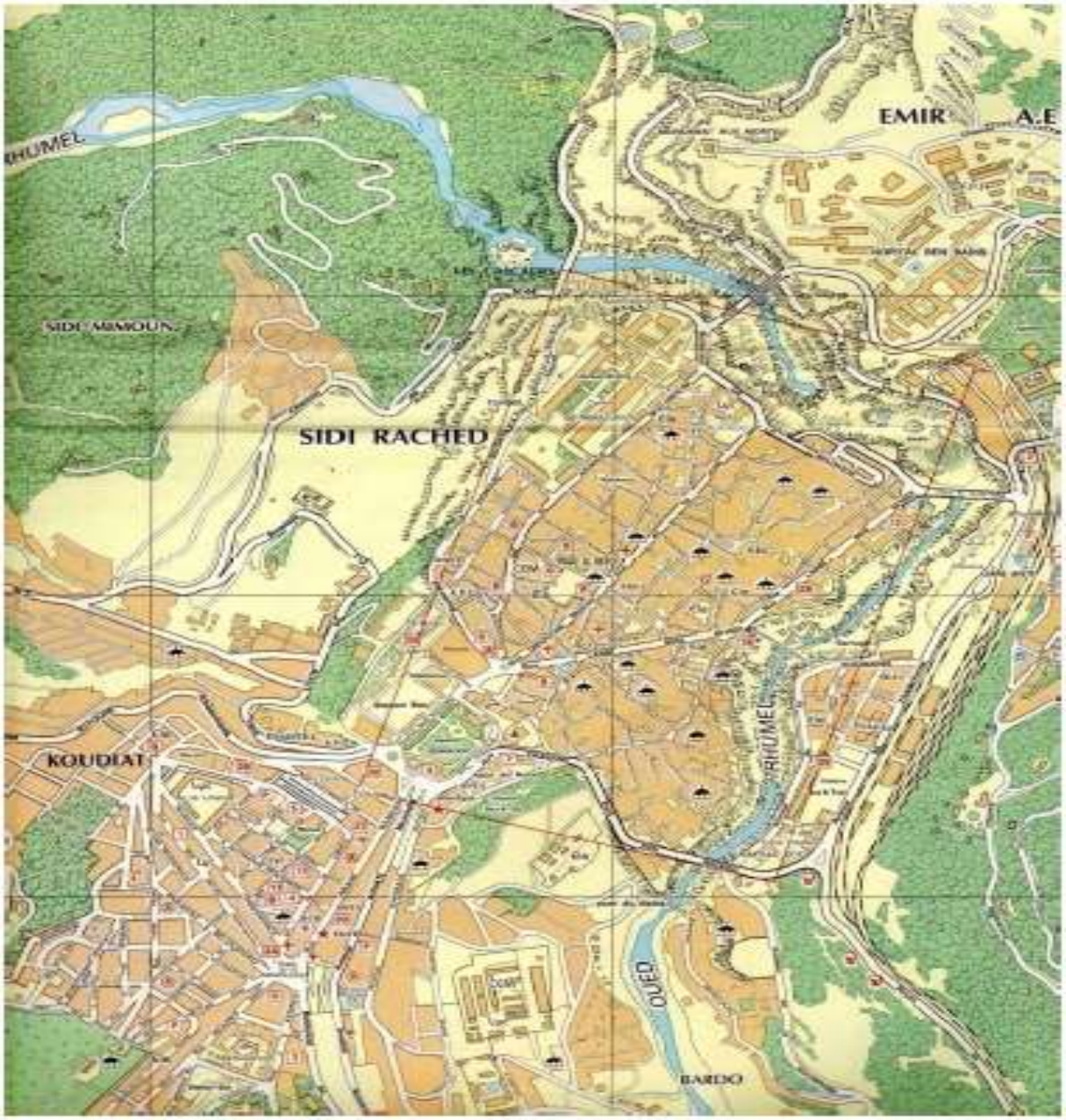

المخطط رقم 1: موضع مدينة قسنطينة

دحدوح عبد القادر ، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، ص 825.

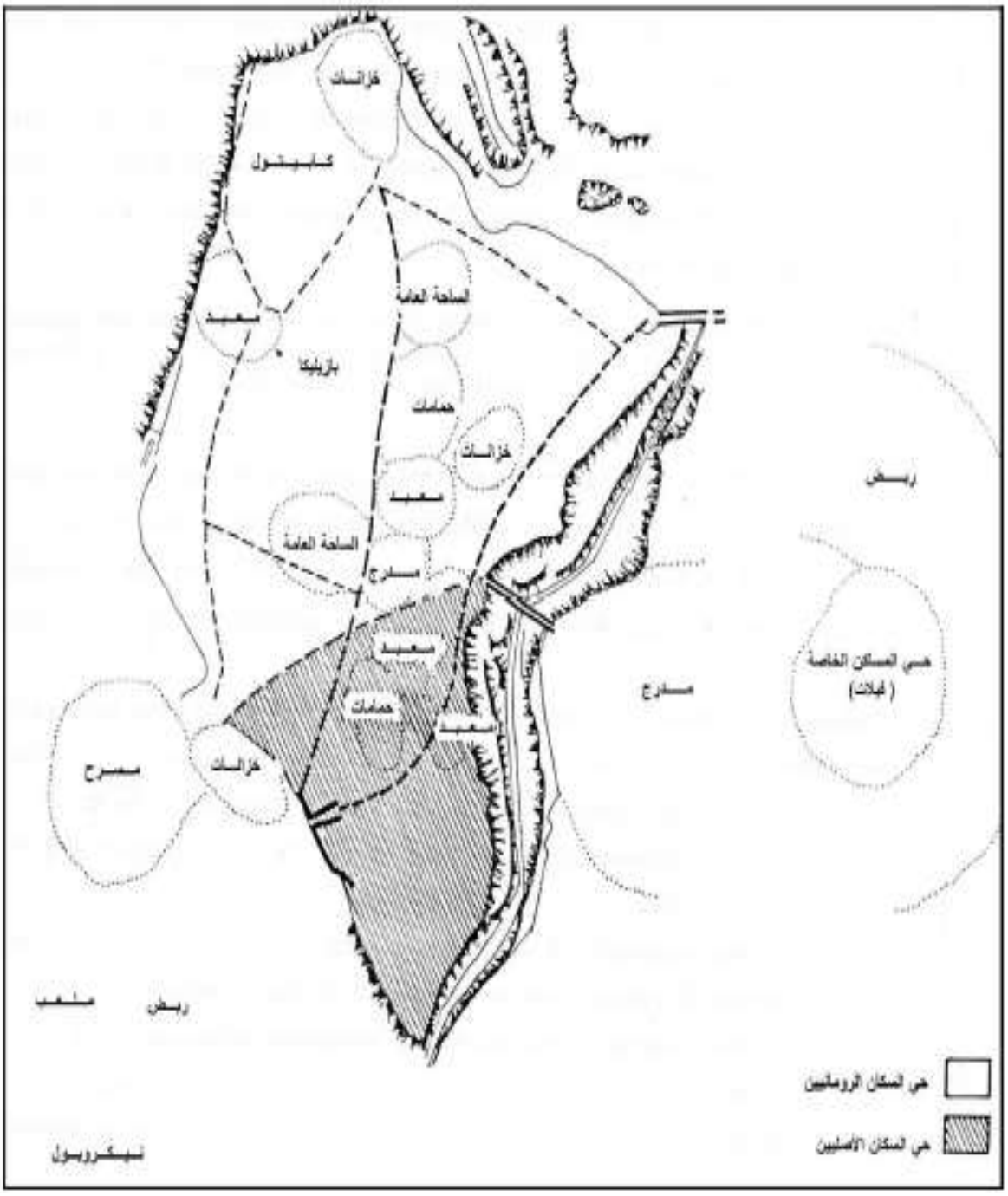

المخطط رقم 2: قسنطينة خلال الفترة الرومانية

دحدوح عبد القادر ، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، ص 827.

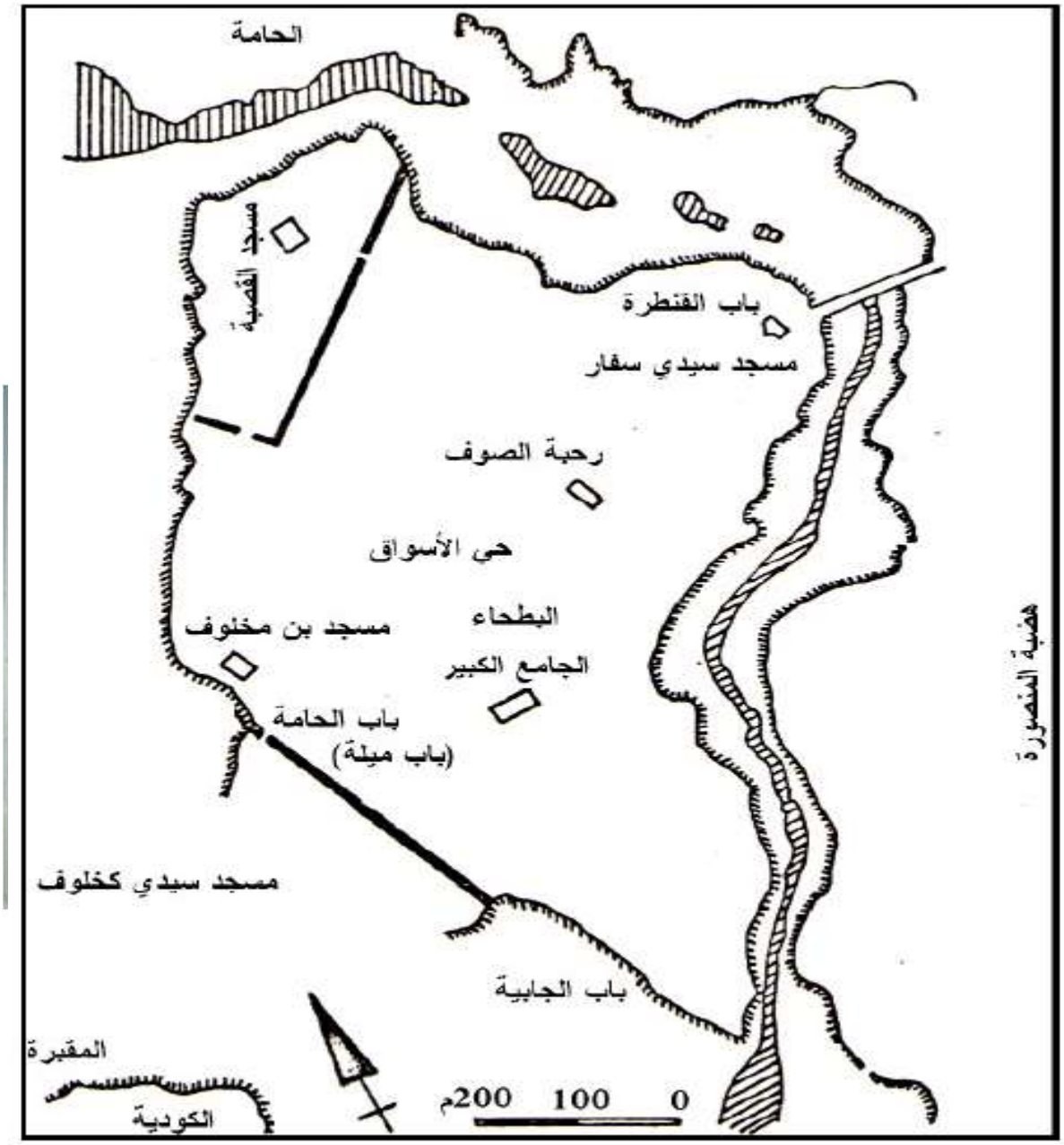

المخطط رقم3: قسنطينة خلال العهد الحفصي

دحدوح عبد القادر ، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، ص 828.

الصورة رقم 1: اللوحة التأسيسية لجامع سوق الغزل

الصورة رقم 2: الواجهة الشرقية لسوق الغزل

دحدوح عبد القادر ، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، ص، 888.

الصورة رقم3: اللوحة التأسيسية الأولى بالجامع الأخضر

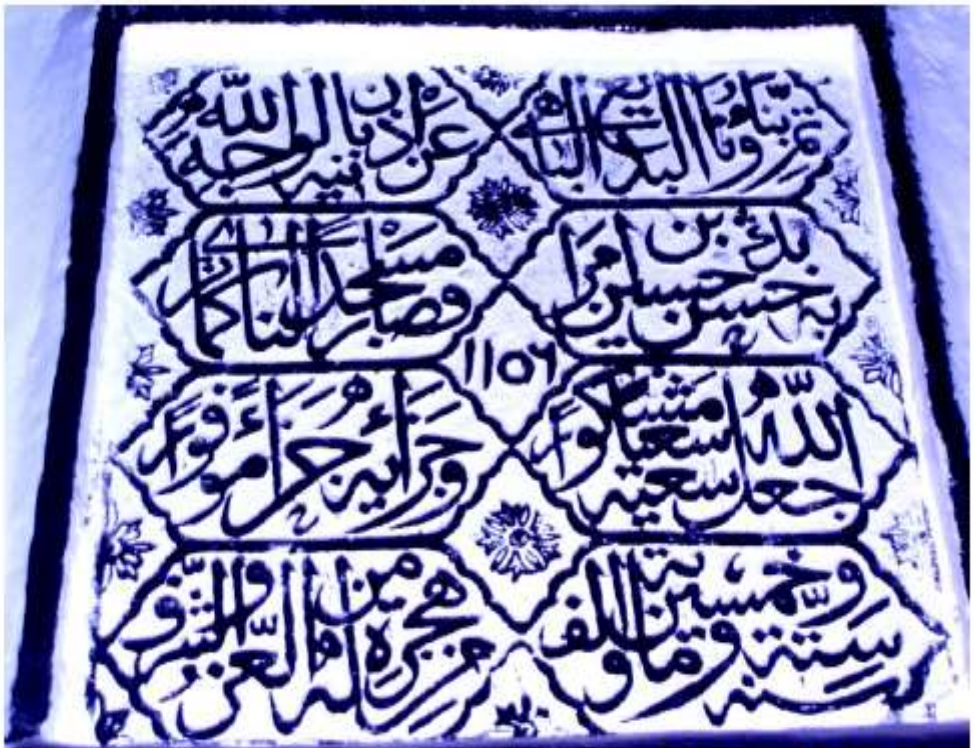

الصورة رقم4: اللوحة التأسيسية الثانية بالجامع الأخضر

دحدوح عبد القادر ، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، ص، 894.

الصورة رقم5: منبر الجامع الأخضر

الصورة رقم6: مئذنة الجامع الأخضر

دحدوح عبد القادر ، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، ص ص، 896- 897.

الصورة رقم7: اللوحة التأسيسية لجامع سيدي الكتاني

الصورة رقم8: الواجهة الجنوبية لجامع سيدي الكتاني

دحدوح عبد القادر ، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، ص، 898.

الصورة رقم9: الكتابة التأسيسية بمدرسة سيدى الكتانى

الصورة رقم10: لوحة فنية لمدرسة سيدي الكتاني

دحدوح عبد القادر ، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، ص، 904.

الصورة رقم11: اللوحة التأسيسية بزاوية سيدي عبد المؤمن

الصورة رقم12: مدخل زاوية سيدي عبد المؤمن

دحدوح عبد القادر ، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، ص، 909.

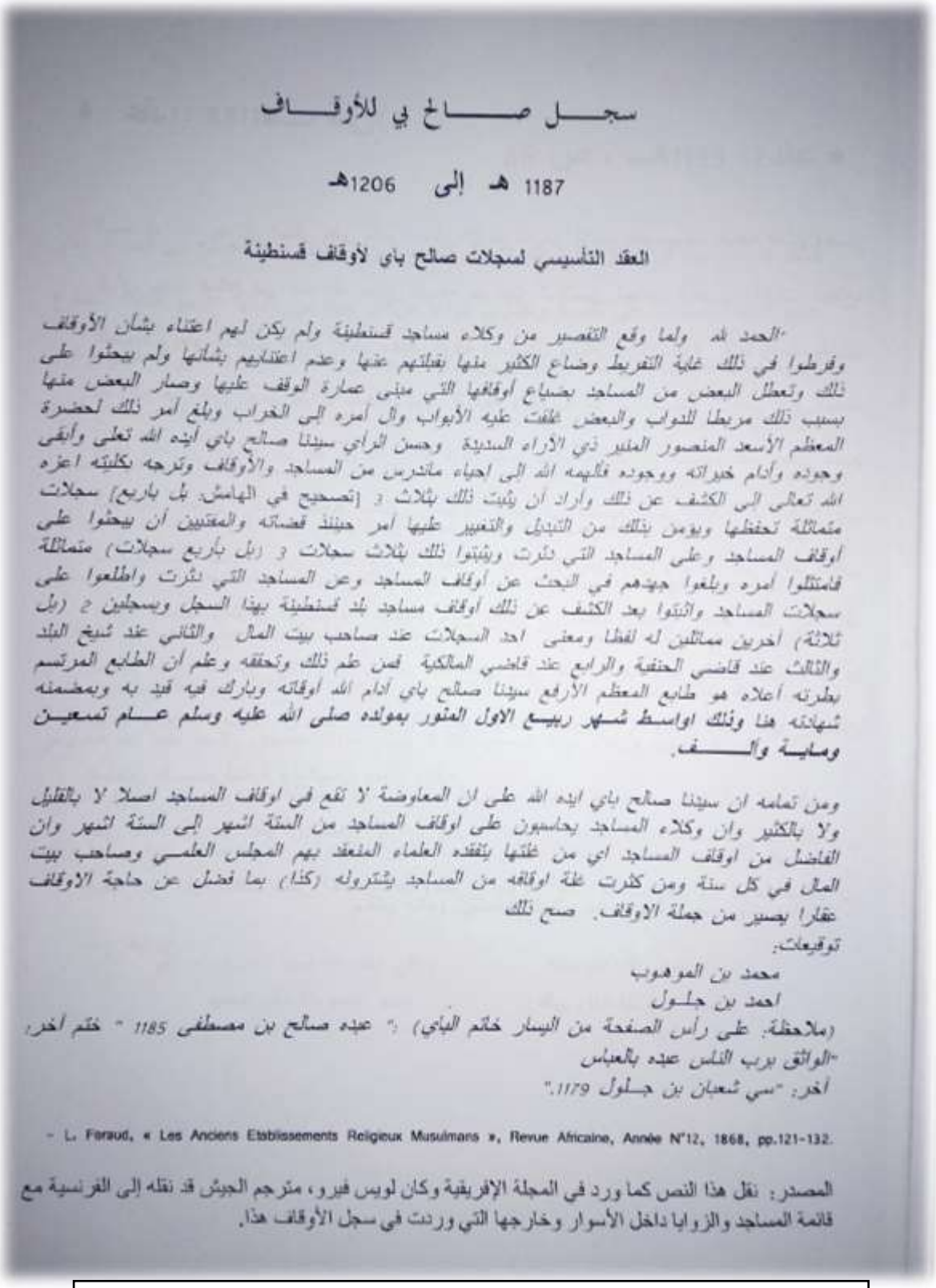

سجـــل صـــــالح بي للأوقـــاف

1187 هـ إلى 1206هـ

العقد التأسيسي لسجلات صالح باي لأوقاف قسنطينة

"الحمد لله ولما وقع التقصير من وكلاء مساجد قسنطينة ولم يكن لهم اعتناء بشأن الأوقاف وفرطوا في ذلك غاية التفريط وضاع الكثير منها بقبلتهم عنها وعدم اعتنابهم بشأنها ولم يبحثوا على ذلك وتعطل البعض من المساجد بضياع أوقافها التي مبنى عمارة الوقف عليها وصار البعض منها بسبب ذلك مربطا للدواب والبعض غلقت عليه الأبواب وال أمره إلى الخراب وبلغ أمر ذلك لحضرة المعظم الأسعد المنصور المنير ذي الآراء السديدة وحسن التراي سيدنا صالح باي أيده الله تعلى وأبقى وجوده وأدام خيراته ووجوده فأنهيه الله إلى إحياء ماندرس من المساجد والأوقاف وترجه بكليته اعزه الله تعالى إلى الكشف عن ذلك وأراد أن يثبت ذلك بثلاث د [تصحيح في الهامش: بل باربع] سجلات متماثلة تحفظها ويومن بذلك من التبديل والتغيير عليها امر حينئذ قضاته والمفتيين أن يبحثوا على أوقاف المساجد وعلى المساجد التي دثرت ويثبتوا ذلك بثلاث سجلات د (بل باربع سجلات) متماثلة فامتثلوا أمره وبلغوا جهدهم في البحث عن أوقاف المساجد وعن المساجد التي دثرت واطلعوا على سجلات المساجد واثنتوا بعد الكشف عن ذلك أوقاف مساجد بلد قسنطينة بهذا السجل وبسجلين ح (بل ثلاثة) أخرين مماثلين له لفظا ومعنى احد السجلات عند صاحب بيت المال والثاني عند شيخ البلد والثالث عند قاضي الحنفية والرابع عند قاضي المالكية فمن علم ذلك وتحققه وعلم ان الطابع المرتسم بطرته أعلاه هو طابع المعظم الأرفع سيدنا صالح باي أدام الله أوقاته وبارك فيه قيد به وبمضمنه شهادته هذا **وذلك اواسط شهر ربيع الاول المنور بمولده صلى الله عليه وسلم عام تسعين ومائة والف.**

ومن تمامه ان سيدنا صالح باي أيده الله على ان المعاوضة لا تقع في اوقاف المساجد اصلا لا بالقليل ولا بالكثير وان وكلاء المساجد يحاسبون على اوقاف المساجد من الستة اشهر إلى الستة اشهر وان الفاضل من اوقاف المساجد اي من غلتها يتفقده العلماء المنعقد بهم المجلس العلمي وصاحب بيت المال في كل سنة ومن كثرت غلة اوقافه من المساجد يشترونه (كذا) بما فضل عن حاجة الاوقاف عقارا يصير من جملة الاوقاف. صح ذلك

توقيعات:

محمد بن الموهوب

احمد بن جلـول

(ملاحظة: على رأس الصفحة من اليسار خاتم الباي): "عبده صالح بن مصطفى 1185" - ختم أخر: "الواثق برب الناس عبده بالعباس

أخر: "سي شعبان بن جـلول 1179."

- L. Feraud, « Les Anciens Etablissements Religieux Musulmans », Revue Africaine, Année N°12, 1868, pp.121-132.

المصدر: نقل هذا النص كما ورد في المجلة الإفريقية وكان لويس فيرو، مترجم الجيش قد نقله إلى الفرنسية مع قائمة المساجد والزوايا داخل الأسوار وخارجها التي وردت في سجل الأوقاف هذا.

الصورة رقم13: العقد التأسيسي لسجلات صالح باي للأوقاف

قشي فاطمة الزهراء، سجل باي للأوقاف، ص 19.

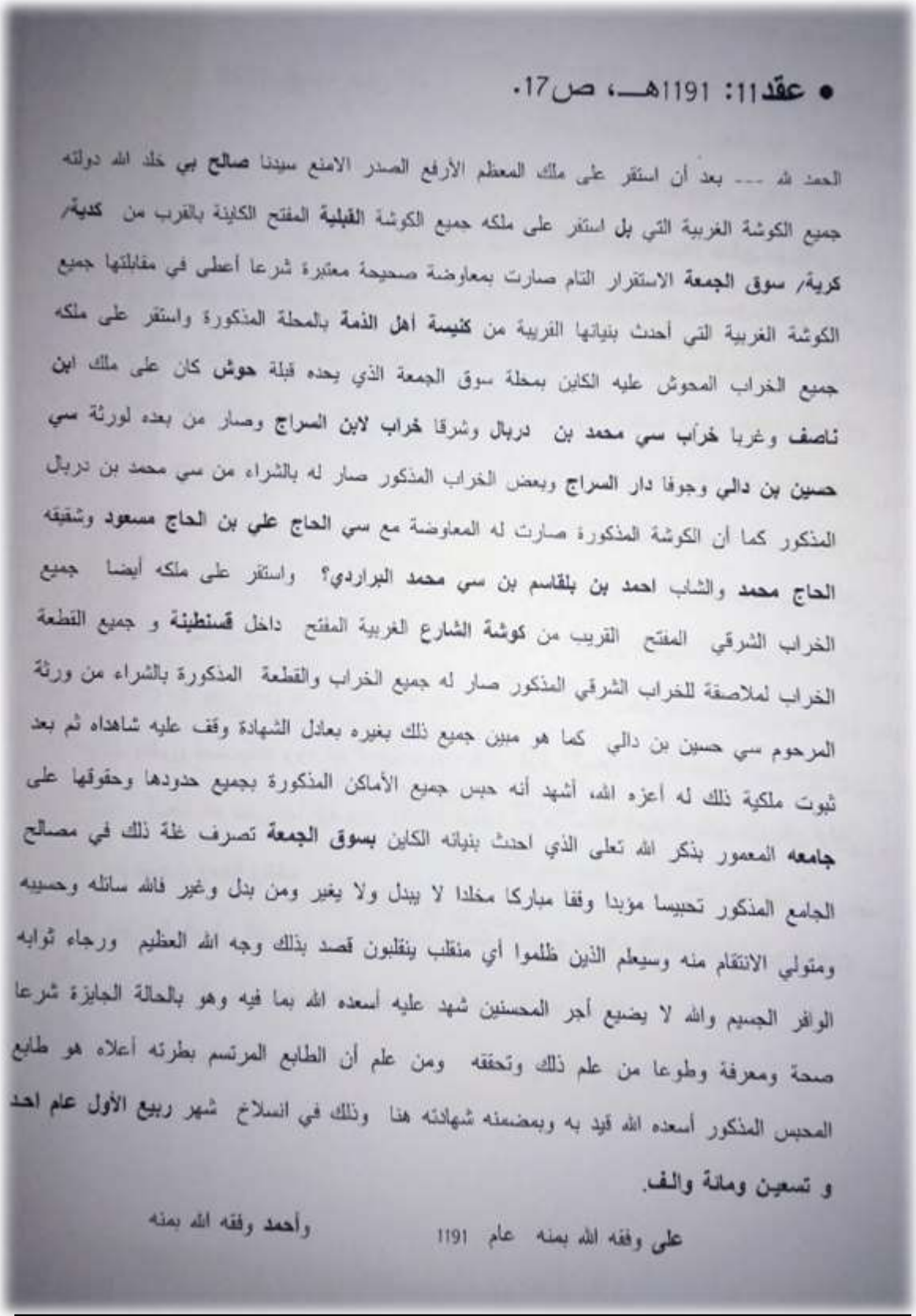

• عقد11: 1191هـ، ص17.

الحمد لله --- بعد أن استقر على ملك المعظم الأرفع الصدر الامنع سيدنا **صالح باي** خلد الله دولته جميع الكوشة الغربية التي **بل** استقر على ملكه جميع الكوشة **القبلية** المفتح الكاينة بالقرب من **كدية/ كرية/ سوق الجمعة** الاستقرار التام صارت بمعاوضة صحيحة معتبرة شرعا أعطى في مقابلتها جميع الكوشة الغربية التي أحدث بنيانها القريبة من **كنيسة أهل الذمة** بالمحلة المذكورة واستقر على ملكه جميع الخراب المحوش عليه الكاين بمحلة سوق الجمعة الذي يحده قبلة **حوش** كان على ملك **ابن ناصف** وغربا **خراب سي محمد بن دربال** وشرقا **خراب لابن السراج** وصار من بعده لورثة **سي حسين بن دالي** وجوفا **دار السراج** وبعض الخراب المذكور صار له بالشراء من سي محمد بن دربال المذكور كما أن الكوشة المذكورة صارت له المعاوضة مع سي **الحاج علي بن الحاج مسعود** وشقيقه **الحاج محمد** والشاب **احمد بن بلقاسم بن سي محمد البراردي**؟ واستقر على ملكه أيضا جميع الخراب الشرقي المفتح القريب من **كوشة الشارع** الغربية المفتح داخل **قسنطينة** و جميع القطعة الخراب لملاصقة للخراب الشرقي المذكور صار له جميع الخراب والقطعة المذكورة بالشراء من ورثة المرحوم سي حسين بن دالي كما هو مبين جميع ذلك بغيره بعادل الشهادة وقف عليه شاهداه ثم بعد ثبوت ملكية ذلك له أعزه الله، أشهد أنه حبس جميع الأماكن المذكورة بجميع حدودها وحقوقها على **جامعه** المعمور بذكر الله تعلى الذي احدث بنيانه الكاين **بسوق الجمعة** تصرف غلة ذلك في مصالح الجامع المذكور تحبيسا مؤبدا وقفا مباركا مخلدا لا يبدل ولا يغير ومن بدل وغير فالله سائله وحسيبه ومتولي الانتقام منه وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قصد بذلك وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الوافر الجسيم والله لا يضيع أجر المحسنين شهد عليه أسعده الله بما فيه وهو بالحالة الجايزة شرعا صحة ومعرفة وطوعا من علم ذلك وتحققه ومن علم أن الطابع المرتسم بطرته أعلاه هو طابع المحبس المذكور أسعده الله قيد به وبمضمنه شهادته هنا وذلك في انسلاخ شهر **ربيع الأول عام احد و تسعين ومائة والف.**

على وفقه الله بمنه عام 1191 **وأحمد** وفقه الله بمنه

الصورة رقم14: العقد رقم 11 من سجلات صالح باي للأوقاف 1191هـ.

قشي فاطمة الزهراء، سجل باي للأوقاف، ص 30.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **المصادر:**

1- ابن حوقل أبي القاسم النصيبي: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1992.

2- ابن سحنون محمد: كتاب آداب المعلمين، تح. حسن حسني، تع. محمد العروسي المطوي، ط2، مطبعة المنار، تونس، 1971.

3- ابن العطار أحمد بن مبارك: تاريخ بلد قسنطينة، تح . تع، عبد الله حمادي، الطبعة الجديدة، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011.

4- ابن العنتري محمد الصالح: فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مر. يحي بوعزيز، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

1- ابن ميمون محمد الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق. تح. محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981.

2- أبو رأس الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تق. تح، محمد غالم، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ج1.

3- الإدريسي أبو عبد الله محمد الشريف: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1989، ج1.

4- البكري أبو عبيد: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، نشر دوسلان، الجزائر، 1875.

5- الخطيب أبو العباس أحمد بن حسن بن علي: الوفيات، ط 4، دار الآفاق الجديدة، لبنان، 1983.

6- الخطيب أبو العباس أحمد بن حسن بن علي: أنس الفقير وعز الحقير، نشر وتصحيح. محمد الفاسي و أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، الرباط، 1965،

7- خوجة حمدان بن عثمان: المرآة، تق. تع. تح محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغاية، الجزائر، 2006.

8- شالر وليام: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تع .تع . تق إسماعيل العربي، ش . و .ن .ت، الجزائر، 1982.

9- شغيب محمد المهدي بن علي: أم الحواضر في الماضي والحاضر، مطبعة البعث قسنطينة، الجزائر، 1980.

10- شلوصر فندلين: قسنطينة أيام احمد باي(1832-1837) ، تر. تق، أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، 2007.

11- العبدري محمد البلنسي: الرحلة المغربية أو الرحلة العبدرية، تق سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007.

12- العنتري صالح: مجاعات قسنطينة، تح. تق رابح بونار، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1974.

13- فايست أوجين: تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي 1792-1873، تر. صالح نور، تق. الشيخ عبد الرحمان شيبان، دار قرطبة.

14- الفكون عبد الكريم: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تق. تح. تع. ابو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1987.

15- الهجويري أبو الحسن علي بن عثمان الغزنوي: كشف المحجوب، تر. إسعاد عبد الهادي قنديل، المجلس الأعلى للثقافة، 2007، ج1.

16- الورتلاني الحسن بن محمد السعيد الشريف: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تح. تق. محمد بن أبي شنب، طبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908.

17- الوزان حسن بن محمد الفاسي: وصف إفريقيا، تر . محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1983، ج2.

- **المراجع:**

1- بورويبة رشيد: الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، تر، إبراهيم شيوح، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979.

2- بوزرينة سعيد: محاضرات في تاريخ الجزائر الثقافي الحديث والمعاصر 1، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، البيض، 2016-2017.

3- بوعزيز يحي: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، دار المغرب الإسلامي، ج1، 1995.

4- بوعزيز يحي: أوضاع المؤسسات الثقافية خلال القرنين 19- 20م، الثقافة، 1981.

5- الجيلالي محمد عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام، د . م . ج، بن عكنون، الجزائر، 1965، ج2.

6- الحسني عبد المنعم القاسمي: أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار خليل القاسمي، الجزائر، 1427هـ.

7- الحفناوي محمد أبي القاسم: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906، ج1.

8- الحفناوي محمد أبي القاسم: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906، ج2.

9- حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للنشر والتوزيع، 2008، الجزائر.

10- خطاب محمد شيتّ: قادة فتح المغرب العربي، ط7، دار الفكر للطباعة والنشر، 1984، ج1.

11- دحدوح عبد القادر: تاريخ آثار مدينة قسنطينة خلال الفترة الإسلامية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2015.

12- الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، **و. و. ن . ت**، الجزائر، 1972.

13- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي1500-1830، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ج2.

14- سعد الله أبو القاسم: شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1986.

15- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي1500-1830، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ج1.

16- سعيدوني ناصر الدين: النظام المالي في الجزائر في الفترة العثمانية (1792، 1830)، ط3، البصائر للنشر والتوزيع، كندا، 2012.

17- سعيدوني ناصر الدين: مذكرة حول إقليم قسنطينة، مجلة الأصالة، ع 70-71.

18- سعيدوني ناصر الدين: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، م. و. ك، الجزائر، 1984.

19- سعيدوني ناصر الدين: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009.

20- سعيدوني ناصر الدين و المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج4، 1984.

21- شويتام أرزقي: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830، درا الكتاب العربي، الجزائر، د.ت.

22- عبد القادر نور الدين: صفحات من مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006.

23- عبدلي لخضر: تاريخ مملكة تلمسان في عهد زيان 1554م1236هـ، ط1، دار الأوطان، تلمسان، 2011.

24- عزوق عبد الكريم: تطور المآذن في الجزائر، ط2، شركة ابن باديس، الجزائر، 2011.

25- عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر،ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، 2002.

26- عمورة عمار: الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ج2.

27- عميراوي حميدة: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، 2004.

28- غانم محمد الصغير: المملكة النوميدية والحضارة البونية، ط1، دار الأمة، الجزائر، 1988.

29- غربي كمال: المساجد و الزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، منشورات وزارة شؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011.

30- غطاس عائشة: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسة والبحث، 2007.

31- فيلالي عبد العزيز: قسنطينة في العصر الوسيط دراسة سياسية عمرانية ثقافية، مطبعة دار البعث، 2002.

32- فيلالي عبد العزيز ولعروق محمد الهادي: مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1984.

33- قشي فاطمة الزهراء: قسنطينة في عهد صالح باي البايات، ميديا بلوس، قسنطينة، 2005.

34- قشي فاطمة الزهراء: قسنطينة مدينة وموروثات، مر. عياش سلمان، ميديا بلوس، قسنطينة، 2009.

35- لعروق محمد الهادي: مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران، د.م.ج ،بن عكنون، الجزائر،1984.

36- مريوش أحمد: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحوث، دار النهضة، الجزائر، 2007.

37- مغراوي أحمد بن جمعة: جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان تح. أحمد جلولي البدوي ورابح بونار، ش و ن ت، الجزائر 1975.

38- الميلي مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، تق. تص. محمد الميلي، ش. و. ك، الجزائر.

- **المراجع الأجنبية:**

1- cherbonnfau. A: "Inscription arabes de la province de Constantine" on Annustire de la societè archéologique de la province de Constantine ،1857 ،PP 81-82 .

2- FD de Haedo: historie des roes l'Algérie traduite et annotée par H-D de Grammont, Alger, 1881, p37.

- **الرسائل الجامعية:**

1- بن بلة خيرة: المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007-2008.

2- بولحبال رياض: أخبار بلدة قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2010-2011.

3- حروش مفيدة: أطلس المعالم الإسلامية بمدينة قسنطينة، دراسة تاريخية أثرية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة 2010-2011.

4- دباح عائشة: الحياة الثقافية والدينية في الجزائر على عهد الدايات(1671-1830م)، رسالة دكتوراه، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر، 2017-2018.

5- دحدوح عبد القادر: مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر2، 2009-2010.

6- سعودي يمينة: الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2005-2006.

7- طرشي أحلام صبرينة : صناعة النحاس بقسنطينة، دراسة فنية، رسالة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2012،2011.

8- غطاس عائشة: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر1700-1830 مقاربة اجتماعية-اقتصادية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2000-2001، ج1.

9- مرتاض عبد الحكيم: الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني 924هـ-1246هـ/1518م-1830م تأثيراتها الثقافية والسياسية، رسالة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015-2016.

- **المجلات والدوريات:**

1- أشرف صالح محمد سيد: "المراكز الثقافية في دار السلطان" –الجزائر– أواخر العصر التركي، مجلة أماراباك، الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا) العدد 7، 2013، دم، مج4.

2- بلقاسم محمد: المؤسسات الدينية التعليمية في الجزائر خلال الحكم العثماني، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، ع 3، جوان 1437هـ/2016م.

3- بن عتو بلبروات: الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري 1779–1797، سلسلة دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، كوكب العلوم.

4- بوخلوة حسين: الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني وإنتاجه الفكري، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تيارت، ع9، جوان 2016.

5- جاب الله الطيب: دور الطرق الصوفية و الزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة المعارف، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة البويرة، ع 14، 2003.

6- حاجيات عبد الحميد: الحياة الفكرية، بتلمسان في عهد الزيانيين، مجلة الأصالة، ع 26، 1975.

7- ربوح عبد القادر: الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي خلال القرن 11هـ/17م، مجلة البحوث والدراسات، مج15، ع1، 2018.

8- سعيدوني ناصر الدين: الوقف في الجزائر خلال القرنين 18 و19، جمع .تح سعيدوني ناصر الدين، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر.29 ماي2001.

9- سعيدوني ناصر الدين: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية(الجزائر–تونس–طرابلس الغرب) بمن القرن 10–14هـ/16–19م، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 31، جامعة الكويت، 1431هـ/2010م.

10- سعيدوني ناصر الدين: وصف مدينة قسنطينة حسب معلومات جديدة للقبطان هيبوليت 1832، مجلة أصالة، وزارة الشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، ع. جوان- جويلية 1979م/1399هـ.

11- العماري الطيب: الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي، مجلة العلوم الاجتماعية، ع15، جوان 2014.

12- غانم محمد الصغير: قسنطينة عبر تاريخها القديم، مجلة العلوم الإنسانية، ع 12، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 1999.

13- قاصري محمد السعيد: المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان، عصور جديدة، ع 18، أوت 1436هـ/2015م.

14- قشي فاطمة الزهراء: معالم قسنطينة وأعلامها، مجلة الإنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، العدد9، 2013.

15- لعرج شيخ و فغرور دحو: انتشار الطريقة التيجانية في بايلك الغرب أواخر القرن 18م وبداية القرن 19م، مجلة الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية 29، وهران، 2016.

16- محمدي محمد: المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي، مجلة حوليات التراث، ع 13، 2013.

17- نواري خولة: نظرة حول المجتمع الحرفي والصناعي بمدينة قسنطينة في العهد العثماني، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، ع 1، مج 2، جامعة الجزائر2، جانفي 2019.

- **الموسوعات والمعاجم:**

1- الحموي ياقوت: معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت لبنان، 1995، ج4.

2- الحنفي عبد المنعم، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط1، دار الرشاد، القاهرة، 1993، ص 280.

3- مجموعة من الأساتذة: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، إشراف رابح خدوسي، منشورات الحضارة، ج2.

4- نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، ، بيروت لبنان، 1980.

- **مواقع الأنترنيت:**

1- www.almaany.com/ar/dict.

فهرس الأعلام

ابن قنفذ القسنطيني:65-66.
ابن مرزوق التلمساني:66.
السيد أبو الربيع سليمان القشي:68.
أبو العباس بلقاسم القباب الفاسي:66.
أبو حفص الوزان:32.
أبو زكرياء:13.
أبو عبد الله بن العطار:49.
أبو محمد الله الونغالي:66.
أبي العباس أحمد زروق الفاسي:61.
أحمد العباسي:64
أحمد القلي:16.
أحمد باي:16-17-34-63
السيد أحمد يوسف الملياني:61
الباي حسن بن صالح:55.
الشيخ الحاج عبد الرحمان بن أحمد :40-41-64.
حسن باشا:14-15.
حسن باي:16-55.
حسين باي:16-34.
حمودة الفكون:50.
خير الدين باشا:13-14-15.
رجم باي:16.
رمضان توشلاق:15
صالح باي:17-19-22-23-25-26-32-34-35-36-42-43-44-51-54-55-58-65-73.
عباس بن جلول:34.
عبد الرحمان الثعالبي:31.
الشيخ عبد القادر الراشدي:43.
الشيخ السيد عبد الله بن هادي(سيدي الكتاني):17-35-42-64.
سيدي عبد المؤمن:14-15-40.
سيدي علي التلمساني:40.
علي التونسي:64
عمار المغربي:64
فرحات بن مراد:16.
الفكون:14-15-50-60-61-62-63-67-68-70-72.
سيدي لخضر:35-43-54.
محمد التواتي المغربي:68.
الشيخ محمد بن الموهوب :71.
الشيخ يوسف الحنصالي:41.
محمد الفاسي:68.
محمد بو علي البغدادي:33.
مراد باي:16.
يحي بن المعز:34.

فهرس الأماكن والبلدان

بجاية:22.

بسكرة:7.

تلمسان:13-75.

تونس:13-14-16-47-62-63-66-67-75.

الجزائر:11-14-15-17-18-20-24-29-32-37-38-39-41-42-44-48-49-51-53-55-56-57-58-59-67-69-70-71-73.

جيجل:22.

السودان:22.

سيدي مبروك:8.

سيرتا:9-10-11-40.

عنابة:7.

فرنسا:17-43-55.

القالة:16.

قرطاج:11.

قسنطينة:6-7-9-10-11-12-13-14-15-16-17-18-19-20-22-23-24-25-26-29-31-32-33-34-39-41-42-43-48-49-54-55-56-57-59-60-61-62-63-64-65-66-67-68-69-70-71-72.

القل:13-16

مازونة:15.

المدية:15.

معسكر:15.

المغرب:11-12-13-15-33-56-60-61-66.

المنصورة:8.

ميلة:10-64

نقاوس:10-68.

وادي سوف:7.

ونوغة:7.

وهران:15

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات:

مقدمة:.....أ

الفصل الأول: قسنطينة خلال العهد العثماني 5

1-جغرافية مدينة قسنطينة:.....7

1-1 الموقع الفلكي و الجغرافي: 7

1-2 الموقع الطوبوغرافي:.....8

1-3 أصل التسمية:.....9

2- التطور التاريخي لمدينة قسنطينة: 11

2-1 قسنطينة قبل الإسلام: 11

2-2 قسنطينة في العهد الإسلامي:..... 11

2-3 قسنطينة في العهد العثماني: 13

3- الحياة السياسية: 15

4- الحياة الاجتماعية: 18

5- الحياة الاقتصادية:..... 22

الفصل الثاني: المؤسسات الثقافية في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني.....27

1-المساجد والكتاتيب: 29

1-1- المساجد: 29

1-2- الكتاتيب: 35

2- الزوايا: 36

3-المدارس والتعليم: 40

3-1-المدارس: 40

3-2-التعليم: 43

4-المكتبات: 47

الفصل الثالث:النشاط التعليمي والثقافي في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني ... 52

1- دور الحكام في دعم النشاط الثقافي: 53

2- الوقف: 57

3- العلماء وإنتاجهم الثقافي: 60

4- التصوف: 69

خاتمة: **75**

الملاحق: **76**

قائمة المصادر والمراجع: **76**

فهرس الأعلام: **100**

فهرس الأماكن والبلدان: **101**

فهرس المحتويات: